المملكة العربية السعودية

لجنة التنمية الاجتماعية الأهلية بدارين
مسجلة بوزارة الشؤون الاجتماعية برقم (388)
المنطقة الشرقية - دارين

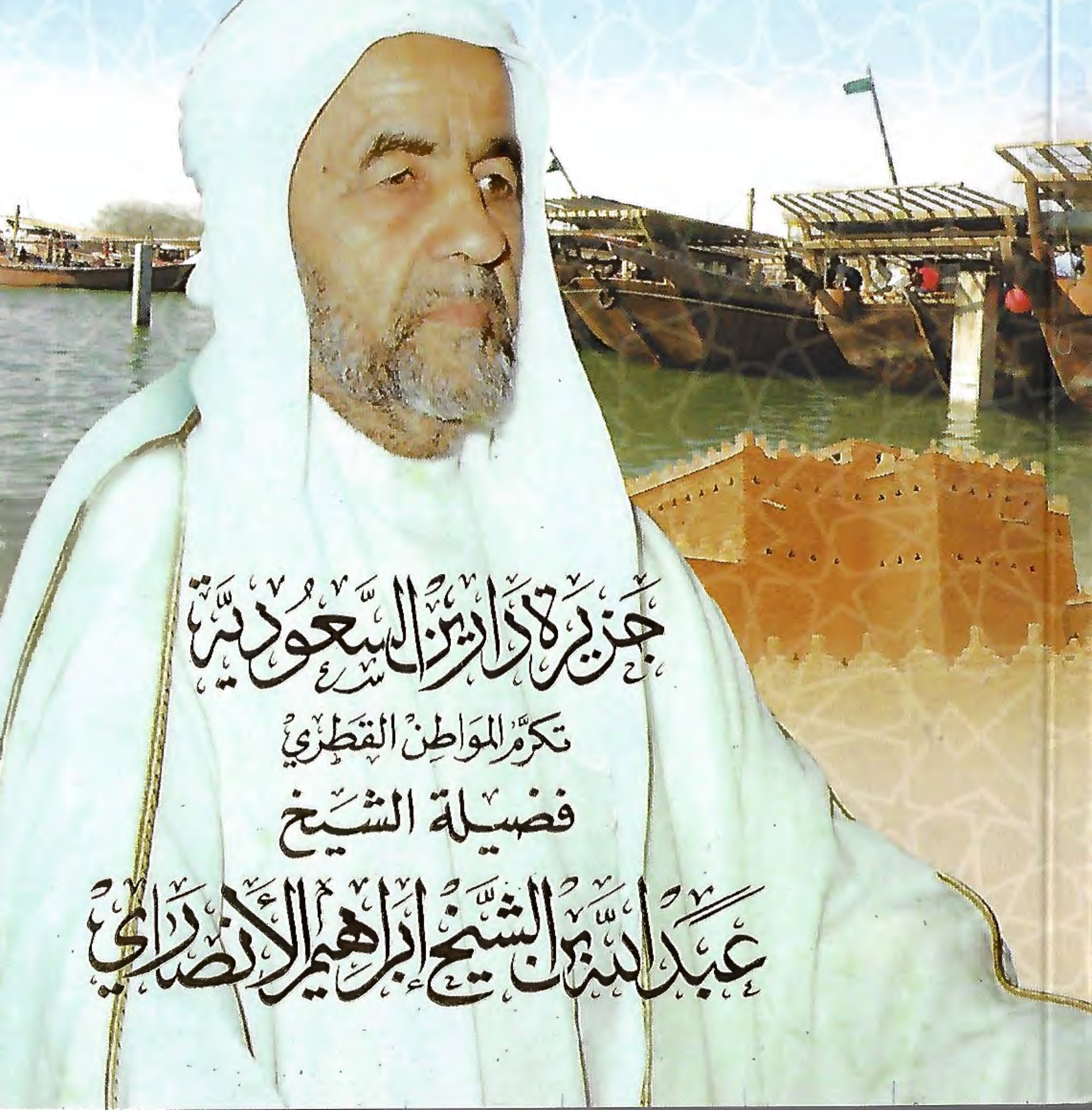

جزيرة دارين السعودية

تكرم المواطن القطري

فضيلة الشيخ

عبدالله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

جزيرة دارين السعودية

تكرم المواطن القطري

فضيلة الشيخ

عبدالله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين يهدي لنوره من يشاء، والصلاة والسلام على البشير النذير، السراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد،،،

فمن رحمة الله تعالى بهذه الأمة وكريم اصطفائه لها، أن جعل مشرق الوحي فيها قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]

فكان ذلكم الافتتاح تعظيما أي تعظيم للنبي الموحى إليه مسك ختام النبوة صلى الله عليه وسلم وتكريما أي تكريم للأمة الوسط خير أمة أخرجت للناس، الأمة الخاتمة، وتشريفا للعلم، وإعلاء لشأن العلماء، وإذا كان العلم عامة نورا، تستضيء به الحياة، ويرقى بالأحياء، فإن العلم بكتاب الله تعالى أشرف العلوم وأسماها، وأجلها وأسناها، فالذكر الحكيم نور، معصوم، منطلقه الوحي، ومنزله العليم الخبير ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2]

(١) سورة العلق الآية (١)

(٢) سورة الملك الآية (١٤)

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٣]

وهو النور الذي تحيا به القلوب، وتطمئن بهديه النفوس، وتستنير به البصائر، وتسلم العقائد وينضر الله تعالى به الوجوه:

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[٤]

وحديثي عن سيدي الوالد الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري حديث تلميذ، قدر له أن يكون امتدادا لحياة معلمه، وأن يحيا بين يديه، منذ مولده، عينه معلقة به، وهمساته تروح عنه، ثم يعايشه طول حياته يأخذ منه مالا يدركه طالب من معلمه، ويحمل عنه ما لا يحظى به مربًّى من مربيه، وكذلك كان حال إخوتي وأخواتي، فأنار كياننا بالقرآن الكريم، منذ نشأتنا حفظا ومدارسة، ومراجعة أثناء الطباعة ومراجعتها، ولقننا آداب الإسلام، عملا وسلوكا، وشدد في التزامنا لها، وحاسب المتهاون منا حسابا عسيرا، فيه الحكمة والرحمة والحلم والحزم، وعلمنا من العلوم ما لم يتح لمن هم في مثل سننا سماعه، وأرانا من الهمة في الخير ما يستعصي احتماله، فما رأينا فيه سكونا إلا وقت نومه، وما أقل ساعاته!

(٣) سورة إبراهيم الآية (١)

وما عهدنا فيه فتورا، وما فاجأنا أو غيرنا بضيق، أو شكوى، وما قصر في حاجات الناس عامة، وجدَّ في قضايا المسلمين خاصة، وما أكثر قصَّاده!

فكان حاله كما قال الشاعر:

إن الشدائدَ إن نَالتْ أخا ثقةٍ   أعلى رضاهُ وقال اللّهُ فراجُ

كانت حياتنا معه –رحمه الله تعالى– دروسا متصلة، لقد جعل من لقاءاته داخل مجلسه وخارجه ندوات مثمرة، شهودها طلاب علم، والمتحدثون فيها ذَوُو فضل.

ورغم كثرة سفراته فإن نور العلم لم يترك منزله، فكان هو –رحمه الله تعالى– لنا ولمن يغشانا من أهلينا وغيرهم مدرسة، متنوعة العطاء، فريدة البناء، أولو العلم فيها متميزون، وجلساؤهم طلاب طموحون، وما خص البنين دون البنات بتلك الرعاية، بل أعطى بناته ما يليق بهن من العناية، وركز فيهن روح المنافسة ولم لا يكون الأمر كذلك – رحمه الله تعالى– وقد كان في طليعة الدعاة إلى تعلم الفتاة؟

وما كان ذلكم العطاء حبيس بيته، وما جعله خاصا بأولاده وأهله، ومن يلوذ بهم، أو ينزل مجلسه، لقد طلع على المجتمع القطري بخيري الدنيا والآخرة، فأنارت مراكز التحفيظ الدوحة، وجميع مدن وقرى الوطن الحبيب قطر، وجابت الحافلات المدن والقرى لنقل الدارسين

والدارسات، فأحيا الله تعالى بالقرآن الكريم القلوب، وزاد الذين اهتدوا هدى، وآتاهم تقواهم.

والشيخ دؤوب لا يمل، مقدام لا يتراجع، يختار المحفظين والمحفظات، ويتابع هنا وهناك، ويعقد المسابقات والامتحانات، ويضاعف المكافآت للمحفظين والمحفظات، والدارسين والدارسات .

إن أعباء الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إذا عدت ، وقيست لا ينهض بها رجل، بل رجال أولو عزم، يصنعون صنيعه فيجعلون الفجر مفتتح اليوم، وإلحاح النوم منتهاه، ومع ذلك يتحملها وحده، ويبلغ فيها، مما دعا كثيرا من عارفيه أن يقولوا: إن وراءه أسرارا يصعب على الحس قراءتها، أو تحديدها.

وأقول: إن سلامة طوية سيدي وأستاذي ومعلمي، وحبه الخير وهباه بفضل الله تعالى طاقات غير عادية، وجعلا منه –بتوفيق الله تعالى– نمطا بشريا فريدا وحبباه إلى الناس.

وأنا لا أبالغ إذا قلت: إن سيدي ومعلمي كان مجاهداً في كل ما يأتي في طلبه العلم بادئا بجامعته الأولى، والده سيدي الجد الشيخ إبراهيم الأنصاري، ومهاجرا إلى الأحساء وآخذًا عن علمائها الأعلام الصفوة، ثم حاجا ومستأذنا أباه ـ رحمهما الله تعالى ـ في البقاء بمكة، فانتظم في المدرسة الصولتية، ولا زم علماء الحرم، فكان يتقلب بين علاّمات عصرهم من شيوخ الحرم المكي ومدارس أم القرى الأعلام.

إن نزوله الدمام طلبا للعمل ولقاءه الوجيه الوالد (عبد الله بن محمد أبوعايشة) دون سابق معرفة، مما جعلنا نتساءل :

ما سر إقبال هذا الوجيه عليه، وتعلقه به، واصطحابه إلى (دارين) درة الخليج؟

بم تعلل التفاف الناس حوله، والثقة به، وتقديمه إماما وواعظا وخطيبا، ومفتيا ومعلما ومحفظا، ومستشارا وداعية إصلاح؟

حتى الصغار يبادرون إلى صلاة الفجر، ويتنافسون، من يحمل المصباح ويسير به بين يدي الشيخ ؛ لصلاتي العشاء والفجر .

ما الدافع للشباب أن يُلقُّوا بين يديه ما أثقل فكرهم وشق على نفوسهم ؟

عجائب ييسرها الله تعالى له، ويجريها على يديه في أرض لم ينبت فيها، ولم ينشأ في رحابها، وليس بينه و بين أهلها من رحم، إلا رحم الإيمان، أكرم به رحما!

وإذا أمعنا النظر في الرحم الوصول رحم الإيمان، وجدنا صلته أوثق الصلات وأطيبها، وأبقاها وأفعلها، وأعزها وأرفعها، لأنها إنما قامت لله تعالى وبالله.

تلك العلاقة التي جعلت (دارين) دار (خادم العلم) فازدهر نشاطه فيها، وأنشأ أول مدرسة نظامية بها عام ١٣٦٩هـ وأعمل فكره في بناء رجال صاروا ركائز نهضة، طعموا هم وأهلوهم في الشيخ عبد الله الأنصاري أبوة تعجز الفصاحة عن بيانها .

لقد اصطحب أبناءه الطلاب الذين أتموا الصف الخامس الابتدائي إلى الهفوف ـ رغم قرب الدمام ـ لمواصلة الدراسة، وإتمام الصف السادس، ورضي الآباء إيمانا بحكمة الشيخ، وثقة به والتقى بنفسه (مدير التعليم) وعاد بالموافقة، وقد شكر مسعاه الطلاب وأهلوهم.

إنها علاقة أب مرب معلم حريص دؤوب على نفع أبنائه، وهو موضع ثقة دائمة غير موقوتة .

فهل يمكن أن يقال عنه: إنه كان معلما في (دارين) ؟

لقد كانت (دارين) قاعدة ومنطلقا (لخادم العلم) وإعدادا إلهيّاً ظهرت آثاره في نشاطه الذي لا يحد في قطر.

وإذا كان أهل مكة أدرى بشعابها، فأهل (دارين) أدرى، وأعرف (بخادم العلم) رحمه الله تعالى ، وأعلم بسماته ، وأخبر بتوجهاته .

و(لجنة التنمية الاجتماعية الأهلية بدارين) الموقرة رمز وفاء وسبق ، وبر وصدق – رئيسا وأعضاء – راجعوا تراثهم ، فآثروا العلم وخادمه فوفّوا له ، وقدموا من التاريخ أنضره ، عصر الآباء العظماء ، فاحتفوا به .

فجزاهم الله خيراً وألزمهم لفضله شكراً

د/ محمد بن عبدالله الأنصاري
(أبو عمر)

المولد والنشأة والنسب

هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن علي الأنصاري، ولد في عام ١٣٣٥ هجرية بجفر مسلم من أبوين كريمين فقد كان والده الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن علي الأنصاري ـ رحمه الله ـ شغوفاً بالعلم جاداً في طلبه منذ صباه.

وقد ورث الابن عن أبيه خلقاً كريماً، وأدباً جماً وشغفاً بالعلم، وسداداً في الرأي، وقوة في الحق، وبراً بأهله، ووفاءً لمجتمعه، وتواضعاً في غير ضعف.

والشيخ ـ رحمه الله ـ يرجع نسبه الشريف إلى فرع عريق من فروع الأنصار ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ فجده قيس بن سعد بن عبادة من بني ساعدة، أحد فروع الأنصار، رضوان الله عليهم أجمعين.

وهم الذين آووا، ونصروا، وأثنى الله عليهم في القرآن الكريم ثناءً جميلاً، شهادة منه جلَّ شأنه بحسن إيمانهم، وصدق يقينهم وكريم إخلاصهم، وعظيم فلاحهم قال الله تعالى بعد ثنائه على الأخيار

المهاجرين: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٤].

فهذا قول الله تعالى فيهم، ومن أصدق من الله قيلا؟

نشأ الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري نشأة صالحة في كنف والدٍ تقي، يقدس الحق، ويقضي به غير مبالٍ بما قد يتعرض له، ولا مهتم بمن يكون الحكم عليهم أو لهم.

(٤) سورة الحشر الآية رقم (٩).

ارتحاله إلى البحرين في صحبة أبيه

لقد آنس الشيخ إبراهيم الأنصاري في ولده عبد الله ـ رحمهما الله تعالى ـ سمات ميزته، ورأى منه رجولة مبكرة، وذكاء يسبق عمره، وامتداد أفق يصقل رأيه، ويدعم نظرته مما جعله جديراً برفقة أبيه في حله وترحاله، فحين عزم الشيخ إبراهيم على الرحيل إلى شبه الجزيرة العربية اصطحب معه ابنه عبد الله، وكان عمره إذ ذاك تسع سنوات ، وكأن الله تعالى قد هيأ له تلك الصحبة ليرى في أبيه ما يتزود به في حياته المقبلة حين يقدر عليه أن يواجه الحياة كرجل يكافح من أجل حياة كريمة، وكداعٍ إلى الله تعالى يتخذ الحقَّ منهجه، ويدعو إلى الله تعالى على بصيرة ، وذي نشاط ينفع أهله ووطنه ، ويمتدُّ أثره خارج وطنه إلى حيث يشاء الله تعالى .

حياته العائلية

وقد تزوج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بخمس فضليات ـ لا أزكيهن على الله تعالى ـ أولاهن أم محمد وقد لحقت بربها بعد ولادة محمد الثاني (أبوعمر) بسبعة أيام ، واثنتان منهن شقيقتان، مضت أولاهما وهي (أم عبد العزيز) رحمها الله تعالى إلى جوار ربها بعد أن أهداه الله منها ولدين، وأربع بنات، ولما فيه من خلق، وما عرف عنه من دين، آثره أهلها حيث تزوج شقيقتها (أم إبراهيم)، وبورك له فيها ، ورزقه اللهُ منها أكثر أولاده.

كنيته ولقبه

وصارت كنيته التي عرف بها (أبو محمد)، فتلك كنيته تذكره بمن بعثه ربه رحمة للعالمين محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - كما تذكره بفضل الله تعالى عليه.

وشاء الله تعالى أن يكون له لقب يعتز به، ويسعده أن ينادى به، أو يُكْتَب عنه، أو يخطه بيمينه، ويجعله في توقيعه، وما اختاره هو لنفسه، وإنما استخلصه من واقعه علماء رافقوه ، وعاشوا جهاده، وعرفوا تقلباته ، وقد يستوقفك افتتاحهم اللقب بكلمة (خادم)، والمعلوم أن مقام الخادم - كما يقولون - من مقام مخدومه، فلنكمل اللقب لنرى أنه فَتْح، ومِنَّةٌ من الله - عز وجل - وتشريف، تحفظه له الأجيال، ويحدث به التراث الذي أحياه، إنه - رحمه الله - (خادم العلم) وأي علم هذا؟

إنه العلم الذي أورث المؤمنين الهدى بعد الضلال، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

إنه العلم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما يتبعهما من فنون وما يشرف ببيانهما من علوم اللغة.

إنه العلم الذي أورث المؤمنين الهدى بعد الضلال ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وألزمهم كلمة التقوى ، وجعلهم أحقَّ بها وأهلها .

حياته العلمية

جامعته الأولى

كان أبوه ـ رحمه الله تعالى ـ جامعته الأولى، فقد رأى فيه والده نبوغاً مبكراً، ولمس فيه ذاكرة واعية، وقلباً مطمئناً، ونفساً ولوعا بالعلم شغوفاً بالقرآن الكريم، فرباه تربية كريمة طيبة، وأجلسه منه مجلس التلميذ من أستاذه، فتلقى منه الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فشرح الله تعالى صدر الصبي، وأنار بصيرته، وقوى مداركه، وجعل القرآن الكريم شغله فلا يكاد يفرغ من حفظ قدر منه حتى تتوق نفسه إلى المزيد، ويتشوق إلى ما يليه مستزيدا والده، ملحا عليه في طلب مضاعفة الواجب اليومي من القرآن الكريم ، ونفس الصبي مشوقة إلى ذلك اليوم الذي يقال فيه : إنه ختم القرآن الكريم.

وأتم الله تعالى له ما أراد، وأكمل عليه نعمته، فحفظ كتاب الله وهو في الثانية عشرة من عمره، وكان كلما أقرأه أبوه ظهرت عليه مخايل الذكاء، وأمارات السبق، وسمات العبقرية المبكرة فقرأ عليه الأربعين النووية فأتم حفظها، وتلقى عن الوالد الكريم شرحها، فاستوعبه أيما استيعاب.

وجد الأب نفسه أمام عقل متفتح، ونفس متعطشة إلى العلم، ومزيد من المعرفة، رأى بين يديه فتى نهما في العلم لا يشبع منه، ولا يُشْغَل بغيره عنه، فقرأ عليه الفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فاتسع له عقله ـ ووعته ذاكرته، مما دفع الشيخ إبراهيم إلى أن يلقن ولده عبد الله ـ رحمهما الله ـ مبادئ علم الميراث في الرحبية، فلم يضق الفتى بما حوته من أصول هذا العلم وتفريعاته، وإنما استقبلها استقبال الواثق من نفسه، المطمئن إلى ما منحه الله تعالى من قوة الذاكرة، وسرعة الفهم، وحضور البديهة.

وضاعف ذلك النبوغ، وهذا التفوق ثقة الوالد في ابنه، أو الأستاذ في تلميذه، ورأى لزاما عليه أن يطوف به في رياض العلم يمتص من رحيقه ألوانا وفنونا، فولج به ميدان اللغة العربية وآدابها فعرض عليه ألفية ابن مالك، فحفظها، وأظهر براعة في إتقانها وتفهم مراميها، كما أسمعه كتاب (بلوغ المرام)، فلحظ فيه سبقا زاده إعجاباً به، ورأى من الضروري – أيضاً – أن يزوده بشيء من علوم الأدب، ولو بمبادئ تعده لخوض غمار تلك العلوم، فعرضها عليه، والفتى سريع الحفظ، فائق الفهم، بارع في الحوار.

وهكذا قدر له أن يكون أبوه ـ رحمهما الله تعالى ـ جامعته الأولى.

رحلته العلمية إلى الأحساء

قوي عود الفتى، واشتد ساعده، وتفتح شبابه، وقد بلغ السادسة عشرة من عمره، فاستأذن أباه، وولّى وجهه شطر الإحساء التي كانت في ذلك الحين مركز إشعاع، ومستقر صفوة من علماء الإسلام في فنون العلم المختلفة، سبقوا فيها بتوفيق من الله، وبرعوا في نقلها إلى كل راغب في العلم، مقبل عليه، مما جعل الأحساء مقصد طلاب العلم الراغبين في التزود منه، الوافدين عليها من كل صوب وحدب.

نزل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ الأحساء عام ١٣٥٣هـ ـ وهي غاصة بالحلقات ذات العطاء العلمي المتنوع ـ طالباً للعلم، مشوقا إلى مجالسه، حريصا على ملازمة رواده ، تحفزه همته العالية ، ويؤهله لتلك الرسالة السامية صبره ، ويثبت خطواته عزمه .

ونزل الشيخ عبد الله على شيخنا محمد بن أبي بكر الملاّ [٥] ـ أول ما نزل ـ وكان ذلك بعد قدوم الشيخ محمد من الحجاز حيث تولى التدريس مع السيد عبد الرحمن الهاشم، وكان الشيخ محمد يدرس

(٥) هو العلامة الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر الملا، خاتمة علماء الحنفية في الأحساء، وقد أخذ العلم عن أبيه الشيخ أبي بكر والشيخ عبد العزيز العكاس، والشيخ محمد المالكي المكي، والشيخ حسن شطا وغيرهم ، ومن آثاره العلمية: رسالة في أصول الفقه بعنوان: (سلم الوصول) وشرح مطول على (الآجرومية)، ورسالة في التجويد، وغير ذلك (ت ١٢٩٥هـ).

في المسجد، بينما يدرس السيد عبد الرحمن في الرباط [٦].

كما قرأ على الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي في فنون اللغة العربية والأدب، وقرأ على الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف العمير[٧] الفقه على مذهب الإمام الشافعي، كذلك قرأ على الشيخ محمد العبد اللطيف[٨] والشيخ عبد اللطيف الخطيب[٩].

كما قرأ على الشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللطيف الملا [١٠] واستفاد منه فوائد كبرى فيما يتعلق بتاريخ حكام الخليج، وتاريخ ولاياتهم، ووفاتهم.

---

(٦) مساكن طلاب العلم.

(٧) هو الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد الرحمن العمير، فقيه شافعي، أخذ العلم عن العلامة محمد بن احمد العمير، والشيخ محمد بن حسين، العرفج، والشيخ محمد بن احمد العثمان، تولى مناصب كثيرة منها: القضاء والإفتاء والتدريس وإمامة مسجد الدوغانية بالهفوف. من آثاره العلمية منظومة في النحو، وفتاوى فقهية لا تزال مخطوطة، توفى عام ١٢٧٧هـ.

(٨) الشيخ محمد العبد اللطيف: هو الشيخ محمد أحمد بن محمد بن أحمد العبد اللطيف تعهدته أمه صغيرا واعتنت بتربيته فانصرف إلى طلب العلم، وحضور مجالسه وكان من شيوخه الشيخ عبد العزيز العلجي وعين قاضياً في القطيف، ثم الجبيل، ثم الأحساء، توفي الجمعة في الخامس عشر من شهر صفر ١٢٩٥هـ.

(٩) الشيخ عبد اللطيف الخطيب: هو الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن الخطيب الجعفري من فقهاء الشافعية، في الأحساء وتولى إمامة الجامع الجبري بالكويت، والتدريس في مدرسة العثمان الأهلية وله اهتمام بنسخ الكتب، ومن آثاره دعاء ختم القرآن الكريم ولا يزال مخطوطا.

(١٠) الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الملا ينتهي نسبه إلى الشيخ علي بن حسين الواعظ الحنفي الذي قدم إلى الأحساء عام ٩٥٧هـ وأخذ علمه عن أبيه الشيخ عبد الرحمن والشيخ عبد الله، والعالم الكبير الشيخ أبي بكر عبد الله الملا، والفقيه الشيخ عبد العزيز العكاس الحنفي وهو عالم جليل، ومؤرخ كبير، وقاض مشهور بالأمانة والعدل، وجلس للوعظ، والتدريس في مدرسة (القبة) بالكويت، توفى عام ١٤٠٢هـ.

وقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك [(١١)] ـ أول ما تولى التدريس في مدرسة الشريفة بالرفعة ـ مبادئ علم الحديث، وكراريس من صحيح البخاري وفتح المنعم لما اتفق عليه البخاري ومسلم، كما قرأ على الشيخ عبد العزيز بن محمد العبيد الله [(١٢)]، بل كان من الملازمين له، والشيخ محمد بن عبد الرحمن الخطيب وهكذا جدَّ الشيخ في طلب العلم، والأخذ عن العلماء الأعلام.

وكان ـ غفر الله له ـ مولعا بعلم الفلك، فحرص على مجالسة الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد اللطيف الجعفري، وتذاكر معه، ومع الشيخ عبد الرحمن القاضي العدساني [(١٣)] أصول هذا العلم، وفروعه، وحصل على نسخة من ترتيب الشيخ عبد الرحمن القاضي لعلم الفلك على منوال تقويم العيوني.

---

(١١) الشيخ محمد المبارك (ت١٤٠٤هـ): هو الشيخ العلامة الفقيه محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن مبارك المالكي، عالم جليل، ومجتهد في المذهب المالكي، وأخذ العلم عن العلامة عبد العزيز العلجي، وأبيه الشيخ إبراهيم المبارك، والعلامة الشيخ عبد العزيز أحمد المبارك، ونال إجازة عن العلامة المحدث الشيخ عمر بن حمدان في كتب الحديث الستة.

ودرس علم الفلك على الشيخ خليفة النبهاني.

ومن آثاره العلمية: التعليق الحاوي (ط) توجيهات دينية (ط).

(١٢) المتوفى في السابع عشر من المحرم سنة ١٤٠٨هـ.

(١٣) الشيخ عبد الرحمن العدساني (ت ١٣٨٢هـ) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العدساني المولود سنة ١٣٠٧هـ، بالهفوف بدأ في طلب العلم منذ نعومة أظفاره ، فقرأ على الشيخ أحمد العرفج الأحسائي، ولما سافر إلى الهند أخذ عن الشيخ الفلكي أحمد عفيفي ، وله إسهامات في طباعة الكتب ، ودرس في المدرسة الأميرية بالهفوف.

ومن آثاره العلمية: أرجوزة في الفلك، وتقويم فلكي مطبوع.

وقد عُرِفَ الشيخ عبد الله بحرصه الشديد على الوقت ، ينفقه ـ ما استطاع ـ في طاعة الله تعالى ، فكان إذا وَجَدَ سعة من الوقت خرج مع صفوة من رفاقه إلى قرى الأحساء ، وعمروا مساجدها بالنصح والوعظ ، وأدَّوْا واجبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

في رحاب بيت الله الحرام

وفي عام ١٣٥٩ هـ ـ وقد بلغ السادسة والعشرين من عمره فاستأذن أباه في الحج، تاقت نفسه إلى مهبط الوحي ، ومبعث النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، واشتاق إلى أداء فريضة الحج ، ولم يكد يتم المناسك حتى ملك عليه نور العلم أمره ، وحاز إعجابه علماء الحرم المكي ، فطلب من والده السماح له بالبقاء للدراسة .

وكان من أبرز شيوخه بالحرم المكي الشريف الشيخ محمد عبد الرازق حمزة إمام وخطيب المسجد الحرام فدرس عليه كتاب التوحيد وصحيح مسلم، وموطأ الإمام مالك، والشيخ محمد بن مانع الذي قرأ عليه بلوغ المرام، وزاد المستنقع ، ومفردات الإمام أحمد وكتاب التوحيد أيضا.

ولازم العلامة الشيخ السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسني في دروس التفسير، ولب الأصول، والتلخيص على الألفية والجوهر المكنون في البلاغة.

كما تابع دروس العلامة الشيخ عمر حمدان المحرثي، فتلقى عنه دروسا في شرح الشمائل، ومتن الشيخ خليل في فقه المالكية.

أما العلامة الشيخ محمد العربي التبياني الجزائري[(١٤)] فقد درس عليه الزرقاني على الموطأ، والإتقان في علوم القرآن.

وعلى يد العلامة الشيخ حسن المشاط [(١٥)] تلقى دروساً في لب الأصول وشرح ألفية ابن مالك.

وفي مجلس العلامة الشريف الحسيب السيد محمد أمين كتبي الحنفي المكي تلقى تفسير الإمام النسفي، ومغني اللبيب، كما درس عليه في علمي النحو والبلاغة.

كما قرأ على العالم الفاضل الشيخ محمد نور الدين بن هلال[(١٦)] أبوابا في الفقه المالكي والحديث، واستفاد كذلك من الشيخ أحمد بن الشيخ خليفة بن نبهان [(١٧)] مسائل في علم الفلك .

(١٤) مؤرخ كبير ومحدث ومن مؤلفاته (رسالة في نزول المسيح)، توفى عام ١٣٩٠هـ.

(١٥) من علماء مكة ومن مؤلفاته رسالة (فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب) توفي عام ١٣٩١هـ.

(١٦) من علماء مكة فقيه ولغوي وشاعر وأديب، وله ديوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم توفي عام ١٤٠٤هـ.

(١٧) أصله من البحرين، وانتقل إلى التدريس بالحرم المكي الشريف، برع في علم الفلك.

التحاقه بالمدرسة الصولتية وأساتذته فيها

وكانت أشواق الشيخ وتطلعاته تسعى به، وطموحه يدفعه إلى طلب العلم أينما كان، وكيفما تيسر له، ولذا كان شديد الرغبة عظيم الهمة، قوي العزم على أن يملأ أوقاته كلها بالجد في طلب العلم فرأى أن يجعل لأول نهاره مسلكا علميا يضيفه إلى مساره الدراسي المبارك في الحرم المكي الشريف، فهداه الله إلى نبع ثرّ، ودار عامرة برجال صدق في الله جهادهم، واشتد بالله عزمهم، فعلمهم من فضله، وأمدهم بمدده، وآتاهم الحكمة

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[18] جملهم الله تعالى بالعلم، فأصلح به ظاهرهم وباطنهم، فحق فيهم ـ والله حسيبهم ولا أزكي على الله أحدا ـ قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[19]،

فكانوا بفضل من الله تعالى أوفياء للعلم، أمناء على ما أوتوا، فما منعوه طالبا، ولا كتموه عن مستزيد، وما اتخذوه بضاعة تشرى بثمن

(١٨) البقرة (٢٦٩).

(١٩) العنكبوت (٦٩).

بخس، وكان الفتى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ حريصا على أن يجالس كل من يسرت له الأقدار مجالسته من هؤلاء العلماء الأعلام جادا في السعي إليهم أينما كانوا، وحيثما حلوا، وكانت المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، والتي أنشأها العالم الرباني الشهير، والمجاهد الإسلامي الكبير الشيخ/ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي الدهلوي، صاحب كتاب (إظهار الحق).

كانت تلك المدرسة أول مدرسة نظامية في مكة المكرمة، بل في الجزيرة العربيةكلها، كما كانت معقل الصفوة الأخيار فالتحق بها، وانتظم في طلاب الصف الثاني من القسم الثانوي للعلوم الدينية، وكانت هذه المرحلة بعد الابتدائية العالية (التخصص)، وكان يسبق الابتدائية، ما يسمى بالإعدادية لحفاظ القرآن الكريم، ثم المرحلة التحضيرية، وأظهر الشيخ نبوغا، وسما به ذكاؤه، فاجتاز الصف الثاني بنجاح، واستحق الارتقاء إلى الصف الثالث، ثم سافر عائدا إلى الخور يؤدي ما يهديه الله إليه من واجبات البر بوالده وحسن الصلة بأهله، وكأنه أراد أن يجعل من تلك الفترة عرضاً لما مَنَّ الله عليه به من علوم ومعارف بين يدي والده الشيخ الفقيه، وهو ــ لا شك ــ موقن أنه سيحقق من وراء ذلك نفعا، ثم عاد إلى مدرسته،

فالتحق بالصف الرابع في عام ١٣٦٥هـ، وكان سكنه في القسم الداخلي للمدرسة المخصص لِسَكَنِ الطلاب، وذلك في عهد مديرها ومؤسسها العلامة المرحوم الشيخ (محمد سليم رحمت الله).

وقد تلقى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري دراسته في تلك المدرسة العريقة على أيدي علمائها الأعلام، وأساتذتها الأماجد،ومشايخها الذين يذكرهم التاريخ بكل فخر واعتزاز، وهم الشيخ حسن المشاط، والشيخ زكريا عبد الله بيلا، والشيخ مختار مخدوم بخاري، والشيخ محمد سليم رحمت الله، والشيخ عمر حمدان، والشيخ عبد الله فدا، والشيخ محمد عارف سمبس، والسيد أبو بكر سالم البار، والشيخ جعفر الكثيري، والشيخ علي بكر الكندي.

بخس، وكان الفتى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ حريصا على أن يجالس كل من يسرت له الأقدار مجالسته من هؤلاء العلماء الأعلام جادا في السعي إليهم أينما كانوا، وحيثما حلوا، وكانت المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، والتي أنشأها العالم الرباني الشهير، والمجاهد الإسلامي الكبير الشيخ/ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي الدهلوي ، صاحب كتاب (إظهار الحق) .

كانت تلك المدرسة أول مدرسة نظامية في مكة المكرمة، بل في الجزيرة العربيةكلها، كما كانت معقل الصفوة الأخيار فالتحق بها، وانتظم في طلاب الصف الثاني من القسم الثانوي للعلوم الدينية، وكانت هذه المرحلة بعد الابتدائية العالية (التخصص)، وكان يسبق الابتدائية، ما يسمى بالإعدادية لحفاظ القرآن الكريم، ثم المرحلة التحضيرية، وأظهر الشيخ نبوغا، وسما به ذكاؤه، فاجتاز الصف الثاني بنجاح، واستحق الارتقاء إلى الصف الثالث، ثم سافر عائدا إلى الخور يؤدي ما يهديه الله إليه من واجبات البر بوالده وحسن الصلة بأهله، وكأنه أراد أن يجعل من تلك الفترة عرضاً لما مَنَّ الله عليه به من علوم ومعارف بين يدي والده الشيخ الفقيه، وهو ـ لا شك ـ موقن أنه سيحقق من وراء ذلك نفعا، ثم عاد إلى مدرسته،

فالتحق بالصف الرابع في عام ١٣٦٥هـ، وكان سكنه في القسم الداخلي للمدرسة المخصص لِسَكَنِ الطلاب، وذلك في عهد مديرها ومؤسسها العلامة المرحوم الشيخ (محمد سليم رحمت الله).

وقد تلقى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري دراسته في تلك المدرسة العريقة على أيدي علمائها الأعلام، وأساتذتها الأماجد،ومشايخها الذين يذكرهم التاريخ بكل فخر واعتزاز، وهم الشيخ حسن المشاط، والشيخ زكريا عبد الله بيلا، والشيخ مختار مخدوم بخاري، والشيخ محمد سليم رحمت الله، والشيخ عمر حمدان، والشيخ عبد الله فدا، والشيخ محمد عارف سمبس، والسيد أبو بكر سالم البار، والشيخ جعفر الكثيري، والشيخ علي بكر الكندي.

عود لابدَّ منه

وشاءت إرادة الله تعالى أن يختبر الشيخ، ويوضع بين أمرين أحلاهما؛ مر فقد بلغه، وهو على هذه الحال من النشاط العلمي نبأ فقدان والده العزيز - رحمهما الله تعالى - بصره، فغلبه بره، وطار به وفاؤه إلى أرض الخور، ليكون بجانب والده ومؤدبه، ومعلمه، وليرافقه في رحلة طلب العلاج، وكان موفقاً فيما فضل، فبره والده، ومواساته في محنته فريضة لا محيدَ عنها .

وما كان الله تعالى ليرد دعاء طيبا، أو يمنع محسنا جزاء إحسانه، فهو القائل جل شأنه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ(٦٠)﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)﴾[٢١] .

لقد خرجا متوكلين على الله، قاصدين بابه، راجيين منه وكرمه، طامعين في واسع رحمته، واتجها إلى الكويت. وهناك تمت – بفضل من الله ورحمة – رحلة العلاج وكانت المنة الكبرى من الله تعالى، فقد رد على الشيخ الكبير بصره، وأسعد ابن البار بذلك الشفاء، ثم عادا إلى قطر فرحين بعطاء الله شاكرين نعمته، ليبدأ الشيخ عبدالله مرحلة جديدة من مراحل حياته.

(٢٠) سورة الرحمن الآية (٦٠).

(٢١) سورة الكهف الآية (٣٠).

النشأة تصنع الإنسان

المتأمل في نشأة (خادم العلم) تستوقفه معالم على طريق هذه النشأة، تدعو الباحث إلى المراجعة والتدقيق؛ فقد كانت عين الجد الشيخ إبراهيم الأنصاري ترصده، وقلبه يحوطه، وعقله يمده، ويتابعه، وخطواته ترسم له الطريق الأمثل، وتوجهاته توضح له العطاء الأفضل.

علمه القرآن الكريم، وألزمه العمل له، وبه، ولقنه ما تيسر له من العلم، وأوصاه بالاستزادة منه، ونشره، وأراه من نفسه جهاداً لا تؤثر فيه الأحداث وإن عظمت، وعطاءً تتنوع آثاره، وتفاعلاً مع الحياة والأحياء يؤكد حياة صاحبه.

لم تكن فترة رحيله لطلب العلم بالأحساء، أو إقامته بمكة المكرمة للدراسة على علمائها الأعلام الأفاضل، لم يكن هذا انقطاعاً عن أبيه، أو غياباً عنه، لقد كان بره بوالده، وارتباطه الوثيق به يشعره دائما أنه مع والده، وتحت سمعه وبصره.

وانطلاقاً من تلك النشأة كانت إقامته بالوطن الحبيب قطر بعد العودة من مكة المكرمة عملاً، لافراغ فيه، وسعياً لا يعرف التوقف،

وحركة لا يعروها توانٍ أو كسل، فلم يُلْحَظ عليه إضاعة وقت، أو شح بجهد، أو قعود عن نفع.

إن مدرسة الجد الخاصة بولده الشيخ عبد الله لم تمسك عطاءها، ولم يتهاون حائز شرفها الوحيد في التزام مبادئها.

إن العمل ميسور له، بل ما أكثره!

والمهام الموكلة إليه في وطنه الحبيب قطر كثيرة ومتنوعة، غير أن الوالد الكريم كانت له نفس طموح، متطلعة إلى عطاء أوفر، وخوض مجالات أكثر، وبذل جهود أوسع وأكبر؛ وفاء للعلم، ونهوضاً بالرسالة الملقاة على كاهل أولي العلم.

وهو لا يفرط في هذا التوجه، ولو كان ذلك بالهجرة من أرض إلى أرض، ونفع مجتمعات مسلمة خارجَ الوطن الحبيب قطر.

وإلا فماذا يقول لربه إذا سُئِلُ عن علمه ماذا عمل فيه؟

والتربية أبهى مجالات الدعوة، وأحقها بإبلاغ رسالة العلم، والارتقاء بالنشء، وبناء شخصياتهم بناءً سوياً على منهج الإسلام، ووفقا لشريعته.

ونهضة التعليم في (المملكة العربية السعودية) على أشدها في ذلك الحين، وفي كل بقاعها، فلِمَ لا يشاركُ فيها؟

ومن هنا كان خروجه- رحمه الله- إلى (المملكة العربية السعودية) عام ١٣٦٧هـ

هجرة مباركة

إذا كان سيدي الوالد قد عقد العزم على الانتقال إلى الوطن الشقيق(المملكة العربية السعودية) فأي بلد من هذا البلد الحبيب يقصد؟

إن العلي الأعلى الذي أخرجه من قطر، قد حرَّك فيه الرغبة القوية الملحة، والعزم الأكيد على الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله تعالى، ثم حبًّا في نفع الآخرين بما منَّ الله عليه به من قدرات، القرآن الكريم وعلومه أسماها وأسناها، ثم ما أوتي من حكمة، وما تلقاه في مدرسة والده الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري من حسن عشرة، وعذوبة منطق، وبراعة سمر، ورقة وعظ، مع ما مَنَحَهُ الله تعالى من وفرة النشاط، والقدرة الكبيرة على احتواء الآخرين، والتفاعل معهم في وجوه الخير.

واختار الله تعالى له(الدمام) دون غيرها من مدن(المملكة العربية السعودية) عامة، والمنطقة الشرقية خاصة، فالنهضة التربوية، والانطلاق القوي إلى تعليم الأجيال، ومحو الأمية، شملت

المملكة العربية السعودية كلها، وللشيخ عبد الله- رحمه الله- صلة وثيقة بالأحساء؛ حيث تعلم فيها، وأقام في رباطها، وتوثقت صلته، بكثير من أهلها، وسكان القرى المجاورة لها، والتي تردد عليها للوعظ مع رفاقه، وهو يدرس بالأحساء، فضلاً عن صلته الوثيقة بشيوخه، وأولادهم وأولي الصلة بهم، وكم حدثنا عن كثير منهم، وامتداد تواصله معهم، ومع ذلك لم تكن الأحساء مقصده.

ثم هو ابن مكة المكرمة علماً ومدارسة، وتقلباً بين شيوخ الحرم المكي، وشيوخ المدرسة الصولتية، وغيرهم من أولى العلم، ورفاق الدراسة وطلب العلم، وهو أدرى بمكة المكرمة، وأعرف بشعابها، وهو- أيضاً - لم يقصدها للعمل.

قصد (الدمام) لحكمة أرادها الله تعالى، وأقدار خبأها له العليم الخبير.

نزل الشيخ الدمام،فحدث عنه علمه، وعرَّف به خلقه، ودَلَّهُمْ عليه ما آتاه الله من حكمة، فاشتهر، وحببه الله تعالى إلى كل من التقى به.

تعارف وتآلف

يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم :

" الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدةٌ ما تَعَارفَ منها ٱئتَلَفَ وما تَنَاكَر منها اخْتَلَفَ "(٢٢)

فمع أي الأكارم يكون ائتلاف الشيخ دون سابق معرفة ، أو سالف موعد؟

وإلى أي درجة يصل بهما الإخاء في الله تعالى؟

إن بضاعة سيدي الوالد الشيخ عبد الله الأنصاري التي هاجر بها إلى الدمام هي القرآن الكريم، وعلوم الشريعة، ولغة الكتاب العزيز، وما منحه الله تعالى من حب للتربية، وشغف بالوعظ والإرشاد، فهو في أشد الحاجة إلى نفس هيئت لتلقي هذه الأحمال الطيبة، مع الرغبة الصادقة في العمل على ترويجها، والمساعدة في إيصالها إلى الآخرين، وإيجاد المناخ المناسب لتقبلها، وإفساح المجال لها ؛ لتكون واقعا يتخذه الموفقون عملا وسلوكا.

---

(٢٢) رواه البخاري.

فأي قلب يطيق هذا؟

وأي نفس تطمئن إلى هذا النور، وتعنى بحامله، وتشد على يده، وتمضي به إلى أخوة الإيمان؟

إن الشيخ في حاجة إلى قلب وضيء، ونفس مطمئنة بالإيمان ولا بد للدعوة من بيئة تثمر فيها الكلمة ، وتؤتي العظة فيها أكلها؟

فأي بيئة تلك ؟ وأي عُمَّار لها؟

والتربية مزيج من العطاء الطيب يلزم الصغار والكبار، وينير المساجد والمدارس، ويؤنس السمار، ويحيي المنتديات واللقاءات.

فمن يجمع للشيخ هذا الحشد ، ويهيئ له أسباب العطاء؟

لقد تعرَّف عليه، وتآلف معه، وتوسم فيه نفعا، ورجا في صحبته خيرا، كريمٌ من الأكارِم ، وعين من الأعيان الأفاضل، ممن أودع الله تعالى قلوبهم حبَّ العلم، وفطرهم على احترام وتقدير العلماء، وتوقير أولي الفضل من العارفين بالله تعالى .

أي فاضل ذلكم الكريم؟وفي أي بيئة طيبة؟

ومن قومه وعشيرته؟

إن الوقوف على سمات ذلكم الوقور يفسح لنا المجال لنتوقع المستقبل المزدهر المعطاء للشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري .

إنه - غفر الله تعالى له - جوادٌ خلقه الإيثارُ، آتاه الله تعالى من فضله، وأسبغ عليه نعمه، فازداد تواضعا، وسأل الله - جل شأنه - أن يلزمه شكر نعمه.

حبب الله تعالى إليه العلم، وشرح صدره لأولي العلم وَالفضلِ ، فوسعهم خلقه ، واشتاق إليهم رحابه، وأحاطهم كرمه، وآنستهم بشاشته، وأسعدهم احتفاؤه، وصادق اهتمامه .

أحبَّ بلده ، وما هي بالدمام ، لكنها على مقربة منها، حببه الله تعالى إلى قومه، وحبب إليه أهله وعشيرته، فاعتزوا به، وقدروه، وأعلوه وقدموه، وهو أشدهم تواضعا، وأوسعهم صدرا، وأسخاهم يدا .

ولكن من هو ؟

إنه الوجيه الفضيل الوالد عبد الله بن محمد أبو عايشة

- رحمه الله وغفر له - عنوان طيب لبلد طيب.

تُرى أيتركه بالدمام ، وينعم هو بصحبته، أم يحمله إلى بلده تلك؟

إن هذا النمط من الرجال الأكارم خلقه الإيثار.

فكيف لا يمضي بالشيخ إلى أهله وعشيرته؟

لقد دعاه لزيارة بلده ، ورغبه في إتيانها ، وحدثه عن أهلها ، فضاعف شوقه إلى رؤيتهم، وأمَّل الأنس بهم قبل أن يراهم، والامتزاج فيهم قبل لقياهم.

فطاب الشيخ نفسا بهذه الدعوة، واطمأنَّ لها قلبه، فلبى راضيا، وصحب الداعي الكريم مؤملا خيرا راجيا لنفسه، ولإخوانه المسلمين الذين لم يرهم بعدُ نفعا.

لقد اعتبر الشيخ تلك الرحلة هجرة إلى الله تعالى، وها هو يُدْعى لإتمامها.

فأنى لا يلبي ؟

لقد شرح الله تعالى صدره لهذا اللقاء، وخير بشارة له صحبة هذا الكريم الوقور.

لقد أتى الله تعالى به من (قطر) ، وأنزله (الدمام) ، وجمع بينه وبين هذه الفضيل، وألف بين قلبيهما، وطيب باللقاء نفسيهما ،وحبب إليه أهل بلد هذا الألوفِ، وما نعمت عيناه بمشاهدتهم، وما تعرف عليهم بمجالستهم، فليكملا هذه المسيرة المباركة، يضيء مسعاهما الإخلاص ، ويسدد خطواتهما الصدق ، وليسألا الله من فضله، لهما ولأهل هذا البلد الطيب، وكل من يلقيان.

ولم تكد أقدامهما تلامس التراب تراب هذا البلد حتى تجلت البشائر ؛ فالوجوه مشرقة، والنفوس مشوقة، والأيدي مصافحة والقلوب مطمئنة ، وكأن الشيخ ولد فيهم، ونشأ بينهم.

صلى الشيخ بهم إماما فأقبلوا عليه معبرين عن احتفائهم به وتقديرهم له ورغبتهم في إمامته لهم، وخطبتهم في جمعهم وأعيادهم، وتربية أولادهم، ووعظ صغارهم وكبارهم ؛ فما على الشيخ إلا أن يقبل رجاءهم ويروي ظمأهم.

أما هذا الوجيه الصدوق، فقد هيأ للشيخ منزلا يليق به، ويتسع لإقامته مواجهاً لبيته ، وأراه أن الجميع في خدمته، وأن بيوت أهل

البلد جميعا بيته، ومجالسهم مجلسه؛ وهكذا اكتمل تآلف الأرواح، واجتمعت القلوب كلها على حب في الله وفي الله.

ونعود فنسأل :

أي بلد هذا الذي طاب بطيبة أهله ، وعظم بوفائهم، وعز بولائهم ؟

درة الخليج (دارين)

هي بكسر الراء بعدها مثناة تحتية، فَنُونٌ.

قال الأستاذ رشيد محلس: دارين اصطلاح جغرافي يطلق على الجزيرة التي تقع في مدخل خليج القطيف.

وقال البكري في (معجم ما استعجم):

(دَارُون) وبعضهم يقول: (دَارِينَ) فيعرب النون[٢٣] وهي قرية في بلاد فارس، على شاطئ البحر، وهي مرفأ سفن الهند بأنواع الطيب، فيقال: مسك دارين، وطيب دارين، وليس بدارين طيب.

وقول البكري: إنها قرية في بلاد فارس صواب، لوقوعها في البحر الذي أطلق عليه بعض المتقدمين (بحر فارس) -الخليج العربي- وليس على شاطئه، بل في جزيرة يحيط بها البحر.

وفي (معجم البلدان):

(دارين): فُرْضَةٌ[٢٤] بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند والنسبة إليها (دَارِيّ).

(٢٣) أي يظهر عليها علامات الإعراب لأنها اسم مفرد.

(٢٤) فرضة البحر: مَحَطُّ السفن

قال الفرزدق:

كأنَّ تَرِيكَةً [٢٥] منْ مَاءِ مُزْنٍ ⠀⠀ وداريَّ الذكيَّ مِنَ المُدَامِ

وقال ابن حمديس:

فما فَازَ بِالمِسْكِ إلاَّ فَتًى ⠀⠀ تَيَمَّمَ دَارِينَ أوْ دَارَهَا

ولبعض المتأخرين:

وإذْ تَنِمُّ وشاةُ الطِّيبِ عنكِ فَلاَ ⠀⠀ أرَاكَ حَتَّى أُدَارِي مِسْكَ دَارِينَ

وقد ورد اسم (دَارِينَ) في الشعر العربي كثيرا، قال النابغة الجعديُّ:

كَقَوْمٍ مِنَ اهْلِ الهندِ صَهْبًا [٢٦] لِحَاؤُهُمْ [٢٧] ⠀⠀ يبيعـون في دَارِيـنَ مسكـاً وَعَنْبَـرَا

وقال الأعشى:

يَمُـرُّونَ بِالدَّهْنَـا خِفَافـاً عِيَابُهُـمْ ⠀⠀ وَيَرْجِعْنَ مِن دَارِينَ بُجْرَ [٢٨] الْحَقَائِبِ

ولشهرة دارين بالطيب، وتميزها بتجارة العطور أطلق على كل عطار داريٌّ.

(٢٥) التريكة: ماء غادره السيل، فتركه في نقرة من الجبل.

(٢٦) من صهب اللَّونُ كان أصفر ضاربا إلى حمرة وبياض .

(٢٧) جمع (لَحْي) وهو منبت اللحية من الإنسان وغيره.

(٢٨) بجر: جمع (أبجر وبجراء) من بَجَرَتِ الْحَقِيبَةُ: امتلأت .

قال جرير:

ذكَّرَتْنَا مِسْكَ دَارِيٍّ لَــــــهُ أرَجُ

وقال الفرزدق:

فَلَمَّـــا طَلَعْنَــا بِالْعَــلاَلِــيِّ بَيْنَنَــا ذكِيٌّ أتى مِنْ أهْلِ (دَارِينَ) تَاجِرُهْ

وقال الشاعر:

إذا التَّاجِــرُ الــدَّارِيُّ جَــاءَ بفـأرةٍ[٢٩] من المسك رَاحَتْ في مَفَارِقِهِمْ تَجْرِي

وقال على شبيب المناعي:

الخالدُونَ تَجَلَّوا في مَوَاكِبِهِمْ مثلَ النُّجُومِ تَجَلَّتْ في مَاقِينَا

ماتُوا وَمَامَاتَ عِطْرُ الشِّعْرِ نَلْثُمُهُ كَالرَّوضِ يعبقُ فوَّاحًا رَيَاحِينَا

كَأنَّهُـمْ دُرَّةٌ أضْحَـى يُقَلِّبُهَـا غوَّاصُ (دَارِينَ) حتى أبْدَعُوا فِينَا

وقال الشاعر:

على الرَّبوَاتِ الْفِيحِ مِنْ مَرْجِ دَارِينِ نَثَرْتُ أكَالِيلِـي وَفَتَّقْتُ نِسْرِينِـي

وحييتُ مِنْ أمْجَادِهَا كلَّ باسِقٍ وقَبَّلْتُ من آثارِهَـا كـل مكنـونِ

(٢٩) وعاء المسك الذي يجتمع فيه .

وقال ابن خلدون:

(دارين) هي من بلاد البحرين ينسب إليها الطيبُ، كما تنسب الرماح إلى (الخط) بجانبها، فيقال: «مسك دارين، ورماح الخط».

وكان ميناء (دارين) يعرف بميناء المسك والعنبر.

ألا ترى –أيها الحبيب الكريم– أننا بتلك العبارات، والأبيات الفواحة قضينا وقتا عطراً اطمأنت بأريجه القلوب، وأنست إلى شذاه الأرواح، وطابت بطيبه النفوس، وقرت بعبقه العيون، واستقر بنا المقام في روض طاول الزمن، وغالب القرون والدول، وعاش عملاقا شامخا، يحدث عنه زهره، ويسمو به عطره، ويبهر العيون ثمره أي روض هذا؟

كيف تسنى له أن يضرب في أعماق التاريخ ويرسي جذوره؟

كيف واجه الأعاصير، فرقَّتْ لصموده، وانحنت أمام عظمته؟

إنه (دارين) ميناء المسك والعنبر منذ أقدم العصور غزا عطرها الدنيا ففاق، وغالب الأحداث، فلانت، ورقت وفاح التاريخ حين حدث عنه.

والنبات -دائما- يأخذ سمات التربة، ويعبر عن مدى سلامة الأجواء.

فما سمات شعب منبته (دارين)، ومطلعه أجواؤها العطرة؟

أليست شهادة التاريخ للأرض، وإقراره تميزها خير شهادة على شعبها وسموه؟

ومن هذا المنطلق يعلن الواقع قبل أن أحدث، ويقول التاريخ قبل أن يخط القلم.

إنه شعب فيه من المسك رقته وانتشاره، وغلبته وانتصاره، عرفه التاريخ قديما فقدره، ومر به فأقام عنده وأكبره.

ذكر أبو حاتم عن الأصمعي: أن كسرى سأل عن هذه القرية:

من بناها؟

فقالوا: دارين، أي: عتيقة بالفارسية، وقيل: بل قال: كسرى: دارين، لما لم يدروا أولها.

وما فارقت هؤلاء الأكارم جيلا بعد جيل سماتهم، فيهم صدق المسك ونفاذه، وجاذبيته، فيهم من اللؤلؤ نقاؤه وأصالته

إنها مدينة الغوص، والغوص انفتاح، وبحث عن الأجود والأكرم، وإصرار على بلوغ الأصدق والأعظم، صادقوا البحر فأحبوه، وأحبَّهمْ، وبأنفس ما فيه أمدهمْ.

يقول صاحب ديوان (زهيريات دارين) محدثا عن مدينة الغوص:

ودارين في ذلك العهد[٣٠] لا يمكن مقارنتها بأي بلد، حيث يبلغ عدد الغواصين فيها -وحدها- أكثر من ثلاثمائة غواص، بالإضافة

إلى المتوافدين من البحرين ومن الكويت ومن مختلف مناطق الخليج، فإنَّ لسفنهم منظراً معروفاً، ومألوفاً في دارين، عند خروجهم- وبشكل جماعي- للغوص من بندر دارين قبالة (بيت الديهان) إلى مدخل دارين في الناحية الشمالية من (قصر ابن عبد الوهاب).

وهناك المحل الذي يسمَّى (الرفيعة) مقابل قرية (اسنابس) حيث كان يأتي أهل الكويت، وأهل دارين، وأهل البحرين، وأهل قطر،

(٣٠) أي عصر ما قبل النفط

وجميع أهل سفن الغوص، ويجدفون بالقرب من (بيت الديهان) ناحية الغرب من(دارين).

إلام يشير اجتماع هؤلاء جميعاً؟

إن الأرض والبحر لا يملكان وحدهما قوة الجذب، ولا ينتج عنهما هذا الحشد الباهر.

فما السر الكامن وراء هذا الإجماع البشري على تفضيل هذا الموقع؟

أما سمعنا ذلك التعبير القرآني المعجز:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[٣١]

وما طاب بلد إلا بطيب أهله.

إن خلق أهل (دارين) جعل أرضهم منتدى، وبحرهم مُلْتَقًى، وجوارهم راحة، والنزول فيهم طمأنينة.

(٣١) سورة الأعراف الآية (٥٨)

والخلق الحسن عراقة وأصالة لا تساقه مع الفطرة، ووثاقة صلته بالإيمان.

ولو قُدِّر لنا أن ندون ما قاله سيدي الوالد- رحمه الله تعالى- لنا، ولمن كان يلتقي بهم عن (دارين) -أهلاً وبلداً- لكان سجلاً حافلاً بالمكرمات، فياضاً بالعظائم، يرينا عظمة القلوب حين يعمرها الإيمان، فيشربها حبًّا بلا حدود، وودًّا بلا قيود، وعطاء دون مَنٍّ، ووفاء وحسن ظن، يريك الكبير أباً، والندَّ أخاً، والصغير ابناً.

لقد قرأ في وجوه من صلَّى بهم من أول مرة بشاشة فيها إيناس لا تفسده وحشة، ولا تميل به نزوة.

أحاطوه، فكانوا خير أهل بلا ريب، واحتفوا به، فما أحس فيهم غير الصدق، رأى كل دار في دارين داره، وكل أسرة أهله، وكل عشيرة قومه وجماعته.

الشيخ وبراعم دارين

لم يكد الشيخ يستقر في (دارين) حتى هيئت له فرص تربية، وفُتِّحَتْ له طرائق دعوة، ووجد نفسه مدعُوّاً، بل مكلفاً بنشاط تربوي دعوي، لا يترك صغيراً، ولا كبيراً إلا وينالهه من هذا العطاء خير كثير.

لقد أنس الناس به، وأحبوه، وأولوه غالي ثقتهم، وكرموه، وأسلموا إليه فلذات أكبادهم؛ ليكون ذلكم الشيخ لهم مؤدّباً مربيّاً معلماً.

وولاية الصغير أمر يحتاج إلى جهدٍ كبير، وصبر وفير، وحكمة بالغة، وسياسة راشدة، لأنها بناء إنسان قوامه وعي وخبرة، وحزم ورحمة، وحلم ويقظة، وبصر وبصيرة، فالناشئ لا يزال أسير لهوه، طوع طفولته، اللعب شغله، والأم ملاذه، والطريق مسرحه.

وليس بغريب أو عجيب أن نقول:

إنه لا يحتوي هذه النبتة الصغيرة المكرمة إلا عبقري.

إن الرسالة الخاتمة علمت المربين كيف يربون، وأظن الشيخ- ولا أزكيه على الله- ممن وَعَوْا هذا الدرس.

الأسوة الحسنة (صلى الله عليه وسلم)، المربِّي المعصوم، رحمة الله للعالمين يعلمنا، فليتنا نتعلم:

«عن أنسٍ رضي الله عنه أنه مَرَّ على صبيانٍ، فَسَلَّمَ عليهم، وقال: كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُهُ». متفق عليه

أليس هذا من أرقى أساليب التربية؟

إذا كان السلام إيناساً لمن تسلم عليه، وإسراعاً بالسكينة إليه، وتأميناً له، وطمأنة لنفسه فالصغير أشدُّ ما يكون احتياجاً إلى تلك المعاني السامية، والقيم الغالية مهداة إليه من الكبير الذي يهابه، وربما يخجل أن يكلمه.

ولْنَخْطُ خطواتٍ مع المربّي بالوحي، المعلم المعصوم (صلى الله عليه وسلم)، ألم يقل صلى الله عليه وسلم:

«تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أخيكَ صدقة». رواه البخاري

إذا كان انفراج الشفتين ببسمة مشْرقة تُهديها إلى الكبير صدقة، فكم تساوي إذا استنار بها الوجه في لقاء صغير؟

أليس الصغير أخاً؟

أليس الصغير صفحة ناصعة يزينها، أو يسوؤها ما ينقش الكبار فيها؟

فلم لا نؤنسه، ونؤمنه، ونسعده بابتساماتنا؟

ألست معي في أن الابتسامة أفْعَلُ وأنجح طرائق التربية؟

أي منهجٍ كمنهجنا الإسلامي في التربية؟

إن المنهج الذي أرساه النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) في ضمير الأمة نحو الصغار بناء قويم سليم، لقلوب غضة، ونفوسٍ ناشئة ينتظرها مستقبلٌ تكون فيه للأمة، أو عليها.

أعلى هذا المنهج السوي نعايش صغارنا، نربيهم؟

ليتنا نكون على ذلك!

لقد أباح الإسلام الترويح عن القلوب، لكنه لم يرض وسيلة لذلك غير الصدق، فهل يدخل نبتنا الذي نربيه ضمن هذا الإطار الطيب؟

أقول: بل هم أولى بذلك من كبارنا، فَلْنَعُدْ إلى المربِّي المعصوم (صلى الله عليه وسلم)،

عن أنسٍ رضي الله عنه: كانَ رسولُ اللهِ أحْسَنَ الناسِ خُلُقاً، وكان لي أخٌ فطيمٌ يُسَمَّى أبا عُمَيْرٍ، لَدَيْهِ عصفورٌ مريضٌ اسمُهُ النُّغَيْرُ، فكانَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يُلاَطِفُ الصغيرَ، ويقولُ له:» يا أبا عُمَيرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ»؟ رواه البخاري

أرأيت المنهج التربوي المعصوم؟

إنه سلام وابتسام وترويح.

فماذا نتوقع من (خادم العلم) المربِّي الناشئ في ظلال شرع الله تعالى؟

التربية عبءٌ كبير، ودور خطير، وولاية الكبير الصغير أمانة، وها هم أهل (دارين) الأكارم يلقون بأولادهم بين يدي الشيخ عبد الله الأنصاري يؤملون

تربية صالحة، قوامها عقيدة سليمة، والتزام يُعَرِّفُ بالفرائض، ويؤصِّل الخلق الكريم.

علام بنواثقتهم؟

وماذا يُؤَمِّلُون في هذا الشيخ المهاجر؟

لقد طعموا الشيخ من أول لقاء، وعلقت قلوبهم وعيونهم بوجه مشرق صبوح، لا تفارقه الابتسامة، وفَمٍ عذبٍ يفوح بكلماتٍ لها في النفوس فعل السحر، ويدٍ حَانية، لا تطول صغيراً، أو كبيراً إلا أسرته، فتفويضه في التربية تجارة رابحة، ونجاح أكيد.

إن ابتسامته للصغار مناجاة تترجمها نفس الصغير ترجمة يعجز الكبار عن تفسيرها.

وإلا فما سر الالتفاف السريع من الصغار حوله؟

ولغته التي ملك بها قلوب الكبار لم تعجز البراعم عن فهمها، والانقياد لها.

لقد نافس الصغار الكبار في صحبته، فضلاً عن تنافسهم فيما بينهم في القرب منه، جالساً أو سائراً، في المسجد، أو في الطريق، في بيته، أو في بيوت الآخرين، وما هم بالعدد القليل، ولكنهم كثيرون.

فكيف نجح الشيخ- رحمه الله تعالى- معهم هذا النجاح؟

لم تكن هناك مدرسة، فأي بناء يعلق قلوب النشء به؟

وهل هناك أوسع وأكبر، وأروح وأطهر من المسجد؟

وأي الفرائض ارتبطت به؟

أليست الصلاة، وهي عماد الدين؟

أليس من الأفضل والأكمل في التربية أن يحبَّ من نربي المساجدَ، والصلاة فيها؟

لقد زاحموا الكبار في المسجد، ونافسوهم في القرب من الشيخ، ومصافحته، وتعريف كل منهم له بحضوره الصلاة، وشهوده الجماعة، والإعلام بوجوده.

أربعون ناشئاً، أو أكثر نبتوا زهوراً بين يدي الشيخ، فكانوا أعلاماً فيما بعد.

ما أجمل هذه الكلمة من فَمٍ طهور، وقلب طيب نضير!

أي كلمة تريدها، وتشيد بها؟

(السلام عليكم ياشيخ) عمن تصدر؟

يبعث بها طفل بريء براءة فطرته يُعْلِمُ بها الشيخ أنه قد حضر معه الصلاة، ولم يتخلف عن الجماعة.

وما دوافع هذه العجائب؟

لقد احتوى الشيخ هؤلاء جميعاً، وأرسى الله تعالى في قلوبهم حبَّ المساجد، والتزام الجماعة، ورغبهم الشيخ- غفر الله له- في أفضل الأعمال ألا وهو الصلاة لميقاتها، بعد وضوء يطهر ظاهرهم، ليتسق مع الفطرة في سلامتها، وصفائها ونقائها.

﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣٢).

ومن فضل الله تعالى على الشيخ أنْ مَنَّ عليه ببديهة نادرة، وذاكرة قوية حاضرة، سرعان ما عرف هؤلاء الصغار بأسمائهم وأسماء آبائهم، وشتان بين ندائك الشخص باسمه وبين ندائه بما يشعر بالجهل باسمه أو تجاهله فما نادى الشيخ واحداً منهم إلا باسمه، وربَّما أضاف إليه وصفا يسعده.

(٣٢) سورة الروم الآية(٣٠)

وكان الشيخ يحصي الحضور منهم، ويحفزهم، ويحيط علماً بمن غابوا عن الصلاة، ويعاتب كلاً منهم عتاب الحكيم الودود، الحبيب الصدوق، بأسلوب عذب، مع ابتسامة رقيقة، ويد حانية رحيمة تمسح كاهله، فيسري ذلك إحساساً صادقاً ذا آثر أفعل وأوفق من العبوس والشدة، والتأنيب واللوم، فترى ذلك الغائب سبَّاقاً إلى الصلاة، لا يتوانَى، حريصاً على ألاَّ تفوته صلاة الفجر، ولا يعوقه الظلام عن إدراك العشاء.

ما بال الصبية يتبارون في خدمته، ويتنافسون في القرب منه، والظهور معه في درسه ووعظه، أو في سيره إلى المسجد، أو عودته منه، والإصغاء إليه إذا تحدث، والإسراع بالتنفيذ إذا أشارَ مجرد إشارة،أو أمر، بل كثيراً ما ترك بعضهم الطعام، وهرع إلى المسجد حتى لا يغيب عن الشيخ، ولا يكون موضع عتابه.

أليس هؤلاء على الفطرة؟

والأمر كما قال ربنا جل وعلا:

﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّه﴾[٣٣].

(٣٣) سورة آل عمران الآية(٧٣)

يقول أحد الأكارم الذين شبُّوا معه:

لقد كنا نتسابقُ لحمل المصباح (التريك) ليلا، والمشي معه إلى المسجد والعودة منه.

لقد علمنا كيف يحترم الصغير الكبير، وكيف يعطف الكبير على الصغير، وكيف يكون البر بالوالدين، وحسن التعامل بين أفراد المجتمع الواحد.

أليست هذه قيما فاضلة؟

أليس أول واجبات المربي غرسها في نفس من يربي، وتعهدها فيه، وحسن رعايتها؟

إن الدرس لم يكن للصغار فقط، بل كان لمن يلون أمور هذه البراعم إرشاداً وتنويراً، وتعريفاً وتبصيراً، فإحسان التربية مسؤولية المربي في البيت، وفي المدرسة، وفي المسجد، وفي النادي، وفي كلِّ مجتمع يستهدف فيه بناء الناشئة.

وأعظم موارد هذا المنهج هو المورد المعصوم (الوحي) قرآناً كريماً وسنة شريفة.

وإذا سمر الأعلام الداريون الأفاضل تذاكروا ماضيهم مع (خادم العلم) وذكروا نوادره، ورجعوا عشرات السنين، ليعيشوا ذكرياتهم معه، ويتبعون ذلك بإعجاب من تنوع قدراته، وتعدد مواهبه.

لقد كان الشيخ شغوفاً بالأذان، مولعاً بإرساله بصوتٍ ندي، ونغم رضي، فيه إنابة وخشوع، وتذلل وخضوع، وإعلاء لذكر الله، ومناجاة القلوب للفزع إلى الصلاة، فكان يقتنص الفرص، ويصعد المئذنة - حيث لا مكبرات للصوت - ويرفع الأذان بإيقاع مكي، فلا يكاد تكبيره يصافح الآذان ، حتى يصغي الكبار، ويسرع الصغار من داخل المسجد وخارجه، فلا يصل – رحمه الله تعالى – إلى التشهد إلا وقد امتلأت الساحة أسفل المئذنةِ بهم، وهم سكوت، يسمعون في صمت، وتكسو وجوهم ابتسامة رضاً، فإذا ما فرغ من أذانه تجمعوا عند باب المنارة؛ ليستقبلوه، ويصافحه من استطاع منهم.

الشيخ ومنهجة التعليم في دارين

لقد تبوأ الشيخ مكانا كريما في نفوس أهل (دارين) على اختلاف أعمارهم، وتنوع مشاربهم، والنفس التي فطرت على الخير، وأشربت حبه، وألفت بذله تأبى أن تمر بها لحظة دون أن تترك أثرا، أو تخلد ذكراً، وقد وجد الشيخ في (دارين) كل دوافع الجد في العطاء، والتوسع في البذل والنشاط، فالنفوس مشوقة إلى العلم راغبة فيه؛ ترقِّياً بالناشئة، وأملا في الصعود بهم، ليكون لهم دور في ازدهار أشرقت طلائعه، وتطور تألقت بوادره، وقد ساقت الأقدار الشيخ إليهم، وفيه - بمشيئة الله تعالى - همة، وقد أفاء الله عليه، وفقهه، وله في الدعوة والتربية باع طويل، فلماذا لا يهرع إليه الشيب والشباب؟

لم لا يتنافس الآباء في تعليم أبنائهم؟

وكان الشيخ قرير العين، طيب القلب، راضي النفس، فها هي آماله تَجِدُّ في طلبه، وها هو طموحه يسمو به، وعزمه يتوقد، وهمته تعلو، لماذا لا يستجمع قواه، ويستنفر فكره، ويسخر طاقاته لرسالة

خُلِقَ لها، وجهاد هيأ الله له أسبابه؟

لقد تحول – بفضل الله تعالى – المسجد إلى مدارس، وبيته إلى ملتقى علمي، وطريقه إلى بلاغ وتذكير وتعليم، ومع ذلك لابد من مسار تربوي .

فماذا هو صانع؟

لقد أنشأ مدرسة مجانية لتدريس العلوم الشرعية ، واللغة العربية، والحساب والخط العربي، فكانت أول مدرسة في (دارين) أقيمت ابتغاء وجه الله تعالى، لا يبتغي بها من أحد جزاء ولا شكوراً.

وتوافد عليه الراغبون، دون قيدٍ أو شرط، وزاد الإقبال، وضاعف جهوده إيمانه الراسخ أن العلم قوام رسالة الإسلام، ومفتتح دعوته أما كان أول ما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)﴾[٣٤] .

(٣٤) سورة العلق الآيات : (١ : ٥) .

وما كان ما أفاء الله تعالى عليه من علم إلا ليعمل به، ثم يجتهد في نشره، ويبذل أقصى ما عنده في بلاغه.

افتتح الشيخ أول مدرسة مجانية في (دارين) المسك والأدب، (دارين) الطيب والشعر (دارين) التراث والموال وأعلام النهامين واختار هو مناهجها، وكان هو المعلم بها، والمدير لها، والقلب الذي احتوى كل من فيها.

التحق بها شباب، وقاسمهم مقاعدها من دونهم، بل دخلها الكهول، فاجتمع فيها مزيج من الأعمار المتفاوتة .

من يرود هذا الخليط مع التباين الواضح؟

من يستطيع أن يعطي كل مستوىً ما يناسبه دينيا ونفسيا وعقليا وعلميا؟

ألم يصنع التعليم النظامي لكل مرحلة ضوابطها، ويهيئ لها معلميها، وما يناسبها من الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين؟

فالشيخ إذاً مكلف بكل هاتيك المهام، وعلى المستوى العمري لجميع المراحل.

ممن اكتسب هذه الخبرات؟

وكيف نجح في إبرازها واقعاً وعملاً؟

إنها أمور تحتاج إلى إعداد كبير، ودراسات متنوعة، وممارسات مختلفة، بل كثيراً ما يستعان بغير العرب فيها.

ألا يمنحنا هذا الثقة في تراثنا وعلمائنا؟

إن (خادم العلم) لم يتجاوز صحبة والده (جامعته الأولى والأعظم أثرا)، وعلماء (الأحساء) ، وشيوخ المسجد الحرام، والمدرسة الصولتية (بمكة المكرمة)، وفترة وجيزة زار فيها (البحرين) والعجب من نبوغ الشيخ عبد الله الأنصاري فيه سوء ظنٍّ بعلمائنا وتراثنا؛ فكل شيخ من شيوخه يمثل مدرسة بالمعنى العام، لا الخاص.

ففي كم مدرسة درس الشيخ عبد الله الأنصاري؟

أضف إلى ذلك أن العملية التعليمية أسرةٌ وطالبٌ ومعلمٌ، وحديث الشيخ كله يؤكد أنه لم ير أسرة كأسر (دارين) العلم والطموح، في ولائها للتعليم، وثقتها بالمعلم، وتوقيرها له، وطالب (دارين) الطُّمُوح والتطلع أعظم ما يكون رغبة في العلم، وحرصاً على الترقي، مع وفرة

أدب، وحسنِ خلق، وإنزال معلمه المنزلة اللائقة؛ لأنه نشأ في بيئة خلوق طيبة، تُجِلُّ العلم والعلماء.

أما المعلم- ولا أزكي على الله أحداً - فهو خلاصة عطاء قطري إحسائي مكي بحريني، يعطر مسيرته اعتصام بكتاب الله تعالى، وشغف بعلومه،ولغته، يُحَكِمُ مسيرته ما مَنَّ الله تعالى عليه من سمات المربي في أي عصر أشد ما يكون احتياجاً إليها.

لقد ذابت الفوارق، وزال التباين، وساد الإخاء هذا المجتمع الطلابي بين يدي مؤدبه ومربيه ومعلمه الشيخ عبد الله الأنصاري، ولا يظن أحدٌ أنه – رحمه الله تعالى – أهمل الفروق ، بل قارب بينها، ووفَّى كلاًّ حقَّه، وجمعهم جميعاً على وحدة الدافع، وسمو الغاية وتعانق الأهداف، وأظهر فيهم الشيخ التنافس الحميد، وحملهم على الجد، وطرح كل ما يعوق النبوغ، أو يهبط بالطموح؛ فأخذ الشباب حكمة الشيوخ، واستعار الكهول نشاط الشباب، وعلت أمارات الرجولة المبكرة في الصغار.

وبين هؤلاء جميعا- كما يقول مخالطوه في تلك المرحلة – وقف ذلكم الرجل القطري الداري، الذي وقف نفسه على العالم معطاء

حليماً صبوراً، حكيماً غيوراً، واسع الصدر، دائم البشر، يعطي بغير حدود، ويقبل طلابه دون قيود، ويعلم أنَّى تيسر له التعليم.

لم تَحُدّ المدرسة، وانتظام الدراسة فيها من نشاطه، لم يعد عطاؤه مقصوراً على المدرسة.

وأنَّى يكون هذا وطلاب العلم غير النظامي أكثر وأوفر؟

إذا مرَّ بجماعة منهم استوقفوه بأدب، واستزادوا من علمه، فضلاً عن حرص آخرين على صحبته إذا سار، وحديثهم لا يتوقف، واستفساراتهم لا تنتهي، ثم المسجد، وما أدراك ما المسجد بيت الله تعالى، وهو دار العبادة، والجامعة التي لا تخصصها مناهج، والطلاب الذين استروحوا رحاب العلم، فَتَفَيَّؤُوا ظلاله في كل حين، وسألوا في فروعه دون تحديد، ثم هو جامعة مفتوحة، تعلم للعلم، وتطرح القضايا للفقه، وتزود محبيها بما يصلح لهم دينهم ودنياهم.

لقد اصبح الشيخ مقصوداً في كل وقت، وفي أي موقع أتيح له، لا تراه إلا مربياً معلماً، أو واعظاً مذكرِّاً، أو ناصحاً مبشراً، فأتى الجهد المبارك الصدوق أكله، وأعجب الزراع ثمره، وظهرت آثاره المبشرة في هذا البلد الشكور أهله، المميز نَشْؤُه (دارين) الخير والطموح، والتميز والنبوغ.

تواصل العطاء التربوي وتجديد الشيخ فيه

وحبُّ العلم يدعو صاحبه إلى إبداع في عرضه، وتجديد في نشره، فيصطفي أنسب الأوقات، وأخصب المناسبات، وخيرة أصحاب اللقاءات، والشيخ – رحمه الله تعالى – لم يمر به مجال من المجالات، ولم تفته فرصة من الفرص إلا وأخرج مكنون ما عنده، وأنسب ما لديه ليزيد المناسبات بهجة، والملتقيات روعة.

فما حظ سيد الشهور منه في (دارين)؟

لقد جعل الله تعالى شهر رمضان ميداناً للطاعات، وساحة للبر والحسنات، يعظم فيه الأجر، وييسر للموفقين طرائق الخير، فماذا أنت صانع أيها الداعية المربي؟

لقد دعا إلى غراسٍ طيب في هذا الشهر الكريم الطيب، فالنهار صيام، وتنافس في البر، تلاوة القرآن الكريم ومدارسته، وتعاون على البر والتقوى، وليله قيام ووعظ، ومجالس علم، وتواصٍ بالحق والصبر، وقد اعتاد – رحمه الله تعالى – الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، فاكتظ المسجد بالمعتكفين، فأحيوا الليل، وجدُّوا، وتنافسوا في الطاعة، واجتهدوا، فأخذ رمضان نمطا جديداً

فريداً، ولولا دعوة الإسلام، إلى البهجة والسرور فرحاً بالعيد لبكت القلوب قبل العيون، وأنَّت الضلوع، وجأرت بالشكوى النفوس لمضيّ رمضان.

وآفة التربية الجمود، وحياتها التطوير والتجديد.

الشيخ شغوف باللغة العربية مولع بها، فليعقد المحاضرات، وليلق الدروس، وليحاسب المقصر، وليُعَاتب المتهاون المهمل.

ولكن أهذا هو النهج التربوي السوي؟

إن إثقال المربَّى بالواجبات، وملاحقته بالعصا ونقص الدرجات مسلك قاصر، لا صلة له بالتربية، ولا حصاد له إلا الضياع.

فبم يفاجئ الشيخ المجتمع الداري؟

وكيف يرغب طلابه في اللغة العربية لغة الكتاب العزيز؟

لقد عود الطلاب أن يحضروا له مجلساً بعد العشاء، ويشاركهم الحضور الآباء، بل رغَّبَ المشهد غير الآباء في الحضور، وأمتع الجميع بجديد في التربية.

إنه يكتب لطلابه في أعلى الصفحة حكمة من النثر أو الشعر، فيها

تهذيب وتوجيه، ويطلب إليهم تكرار كتابتها بخط، يجوده الطالب سطراً بعد سطر، فييسر له حفظ تلك الفرائد، ويجمع له بين التربية وتجويد الخط.

ولا يقف عند هذا الحد، بل يفرغ على طلابه من نشاطه، ويعلمهم ضرورة إيقاظ الذاكرة، وإيداعها جيد الشعر، وبارع النثر، فيدعو طلابه إلى حفظ أبيات يختارها لهم، أو قطعة أدبية يستطيبها، جاعلاً لكل مرة ما يخالف الأخريات، ليضاعف محفوظهم، ويملأ بالبليغ من الحكمة أذهانهم، ثم يوقفهم طالباً طالباً في مكانٍ خصصه، ويطلب إلى كلِّ طالب إلقاء ما لديه، متقناً ضبطه، مجيداً أداءه، معبراً عن المعنى بمخالفة في الصوت، ودلالة حركات اليدين، واتخاذ إشارات مناسبة، وتغيرات في ملامح الوجه إبرازاً للمعنى، وتوضيحاً للفكرة، وتقريباً لمفهوم الكلمات، ومدلول العبارات، كل هذا والكبار من آباء وغيرهم يتابعون بشغف ويعجبون، ويكبرون جهود الشيخ، وإبداعه التربوي.

إنه حريص على انتزاع الرهبة من قلوب أبنائه الطلاب، وتربيتهم على الشجاعة، والتغلب على الخجل، والثقة بالنفس، والقدرة على

المواجهة، وإعطاء كل موقف ما يناسبه، وتنمية موهبة الخطابة فيهم.

وكم كان لهذا التوجه من أثر في صناعة رجال عمروا مواقع فأفلحوا، وواجهوا مواقف فأبدعوا، وكانوا خير شاهد على براعةٍ تميز بها الشيخ، وفطنة عُرِفَ بها.

التربية بناء وإبداع

وإذا كانت التربية إبداعاً فالشيخ – رحمه الله تعالى – يأبى أن تظل التربية حبيسة جدران، رهينة وقتٍ محدود، أسيرة روتين لا تحيد عنه، ومن هذا المنطلق اتخذ من البيت والطريق والمسجد واللقاءات المتاحة مدارس، بل ترقى بالتربية إلى مجال أوسع وأرحب، وألصق بالناس وأحب، فأرانا المعلم ودوره في صنع المربيَّ بصور لم يتعودها المربون، ولم يصل إليها المحدثون.

لقد أراد الشيخ السفر للحج، فطلع علينا بما لم يأخذ به معلم قديم أو معاصر.

تُرَى ماذا صنع؟

لقد آثر أن يكون في صحبته طالب علم تتلمذ على يديه، وإذا سمحنا للفكر أن يبرز توقعاته سيقول : إنه اصطحب شاباًّ يكون عونا له على مشقات المناسك، ويقاسمه اعتكافه في الحرمين الشريفين، ويمضي وقتاً في سمر طيب مباح يتممان به طاعتهما.

والعجب العجاب أن تكون الإجابة:لا......

إذاً فما عمر من آثر صحبته في الحج؟

إن الذي وقع عليه اختياره، واتخذه رفيقا وصاحبا صبي لم يبلغ العاشرة من عمره.

أمعروف ذلك الذي اختاره؟

وإذا كان معروفا فمن هو؟

إنه تلميذه محمد بن عبد الله أبو عايشة.

هل لنا أن نتصور أهدافاً تربوية وراء هذا الاختيار؟

الأفضل لنا أن نعايش هذه الصحبة، ثم نوضح رؤيتنا

التنقل يحتاج إلى مواصلات برّاً وبحراً، ويتبع ذلك مشقات يذللها الصبر، ويحببها إلى النفس، وقد تتعذر الوسائل ، ويكون الساقان بديلا لها.

فلماذا لا يعايش الصبي هذه الصعوبات، ويشارك في مواجهتها، ويتعود إيجاد حلول لها؟

أليست هذه تربية من أعظم طرائق التربية؟

كان للشيخ – رحمه الله تعالى – معارفه الذين يمر بهم وهو في الطريق إلى الحج، أو يزورهم في مكة المكرمة، أو المدينة المنورة، وهو ودود لابدّ أن يغشى هؤلاء الأكابر، فماذا نراه فاعلاً بذلك الصبي؟

لقد اصطحبه الشيخ في زيارته لأحبابه من وجهاء الناس وعليتهم وأعيانهم، فبم نعلل ذلك؟

أيتركه، لأن عمره، وخبرته في التعامل لا تؤهله لذلك؟

لم يكن الشيخ ليفعل ذلك، وهو المربي الحريص على من يربيه

لقد حرص على أن يعلمه طريقة الدخول على الكبار، وإحسان تحيتهم، وأدب الجلوس معهم، وما يجب التزامه عند الحديث إليهم، أو السماع منهم.

أداخل هذا في التربية أم خارج عنها؟

وصل الموكب مكة، وأُدِّيَ من المناسك ما يلزم أداؤه، الأستاذ ينفذ،التلميذ يقلد، وسارت المناسك على هذا النسق من التأسي إلى نهايتها.

أيرى مفكرو التربية وروادها هذا النسق تربية؟

إن وقت الحج طويل- وخاصة في تلك الآونة – أفي جعبة الشيخ جديد لتلميذه المرافق له في هذه المرحلة المباركة؟

لقد اختار (خادم العلم) لطالب العلم المرافق كتيباً مليئا بأدعية في الطواف والسعي والمناسك، وكلفه بحفظها.

الفتى صغير السن، محدود الطاقة غير أن هيبة الشيخ، وحرص الفتى على رضاه أعاناه على استظهار كل ما في الكتاب، وحفظه حفظاً جيداً أكسبه ثقة أستاذه، وحسن ثنائه عليه، ونهض بقدرات الحاج الصغير، وقوى ثقته بنفسه.

أيضاف هذا التصرف إلى التربية؟

ما أظن أحداً يعارض.

وإذا كان الوفاء سلوكاً حميداً، وخلقاً كريما فبأي الطرق يركزه (خادم العلم) في ضمير من يربي؟

لقد كان الشيخ وصولاً لأساتذته وشيوخه، وفي مكة المكرمة علماء ممن أخذ عنهم، فاتجه، ومعه، الفتى إلى معلمه وأستاذه الشيخ عَلَوِي، وكعادته في الزيارات أدخل تلميذه على شيخه، وقد علمه

أدب الدخول على العلماء، وحسن تحيتهم، وقدم ذلك الفتى الناشئ لشيخه

أي بليغ يستطيع وصف مشاعر الصبي، وهو يؤدي هذه المواقف لأستاذ أستاذه، أو يحدث بها – فيما بعد – كذكرى من ذكرياته مع شيخه ومؤدبه ومربيه (خادم العلم)؟

كم كان هذا الدرس عظيما،

ولكننا نسال:

أي مناهج التربية اتسع لمثل هذا الدرس، وكشف عن أهميته، وتدارس معطياته؟

إن ابن التراث، والحفي به، الحريص عليه جَلَّى لنا جانباً من جوانب التربية الرشيدة في الإسلام، وكأنه أراد أن يعلن: هذه تربية الإسلام وذاك منهج من مناهجه فيها، فهل أخذتم بها؟

وهل وجدتم في جعبة أصحاب النظريات وفلسفات التربية شيئاً من هذا أو قريبا منه؟

إن معايشة الواقع عملاً وسلوكاً وممارسةً أزكى طرائق التربية،

وأفعلها، وأشدها أثراً، وأنجحها مسلكاً.

وأي العقلاء المنصفين لا يرى التربية المعصومة الموحى بها في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣٥].

ومن هذا النبع ارتوى (خادم العلم) وتزود، وأهدى إلى كل عاشق للتربية غيور عليها.

(٣٥) سورة الأحزاب الآية (٢١)

نجاحات في دارين

لقد تحقق للشيخ - رحمه الله تعالى - نجاحات، كلما فاق في جانب ترقَّى إلى آخر، فيجد - بفضل الله تعالى - نجاحاً أكبر، وتوفيقاً أعظم، مما جعل طموحه لا يقف عند حدٍّ، وتطلعاته تزيد، بل تتضاعف؛ فالبيئة أطيب ما تكون، ونشاط وطموح أهلها - صغارهم وكبارهم - يحفز العزائم، ويشحذ الهمم.

إن تجربة المدرسة الأولى نجحت، ووجدت إقبالاً ورغبة، فلماذا لا يفكر في إقامة منشأة تعليمية نظامية في (دارين) ، يبدأ بها التعليم النظامي، وتستوعب ناشئة هذا البلد؟

وصلته الوثيقة بأهله - أهل دارين - أجَّجَتْ حماسه، وأظهرت ضرورة حثِّ الخطى، وإسراع المسيرة لبلوغ ذلك الهدف الذي يرونه حلما، ولكن مع الصدق وسلامة القصد

(من الأحلام ما يتوقع)

وشدَّ أزره أهل (داريـن)، وازدادوا إكباراً له، وإعجاباً بفكره، وتقديراً لجهوده.

لقد أكد أنه منهم وبهم، مؤتمن على أجيالهم، مسؤول عن الصعود بهم، وإذا عبر موقف إخوانه أهل (دارين) ومساندتهم له عن شيء فإنما يعبر عن أخوة صادقة فاعلة، طموح سامية، مما يجعله أشد اعتصاماً بهدفه ، وحرصاً على بلوغه.

لقد استودعوه أجيالهم، فرأى ذلك أعظم الأمانات.

فكيف لا يكون وفيا لها، غيوراً عليها؟

لقد وجد في هؤلاء الأحبة – أهل دارين – عزمات تشق له الطريق، وتدفعه إلى الخير دفعاً، ورأس الخير وذروة سنامه العلم.

لقد تدفقوا على مجالسه، ودفعوا إليه بفلذات أكبادهم، راضين بما أولاهم من عناية، وما شملهم به من رعاية، متابعين لهم، مستقصين أحوالهم مع الشيخ، متعجبين لهذا الوقور الذي يألف، ويؤلف، مكبرين قدرته على صناعة أبنائهم صناعة ممتازة، وتحويلهم إلى أكرم وأسمى ما يرجون لهم عقيدة وعلماً، وسلوكاً وخلقاً.

فكيف لا يكونون ردءاً له في بلوغ أمل طالما تطلعوا إليه، ورجوا أن يروه واقعاً يجنون ثمره، وينعمون بآثاره في أولادهم، بل في حياتهم كلها؟

لقد آزروه، وباركوا فكره، فانطلق إلى المسؤولين فأعجبوا بسعيه، واستجابوا لطلبه، وتمت الموافقة، فسر أهل دارين جميعا، وانبرى الوالد الوجيه عبد الله بن محمد أبو عايشة – رحمه الله تعالى – وقدم واحدة من مكرماته ، فأهدى المدرسة من طيب ماله بيتا كبيراً، كثير الغرف، مكتمل المنافع، له فناء كبير، وافتتحت المدرسة النظامية عام ١٣٦٩هـ، واستقبلت بها (دارين) عهداً جديداً في التربية، وامتلأت القلوب فرحاً، وفاضت الوجوه بشراً، وهنّأ الناسُ بعضهم بعضاً؛ إنها غنم كبير ، وربح وفير، غير المدرسة ليست بناية تعلُو، وصفوفا تقسم، وإدارة تزهو بصرامتها، وهيئة تدريس تمنُّ بما تُعْطِي.

المدرسة روح تبذل مع العلم حبّاً، وتنتشر مع التربية خلقاً، وإذا كانت الإدارة قد أسندت إلى الشيخ عبد الله الأنصاري – رحمه الله تعالى – مع مسؤوليته عن التعليم والتربية فقد كان – كما حدث تلاميذه – أكبر من هذا ، كان أباً يعطي من قلبه ، قبل أن يُرَشِّدَ بفكره، كان يرى التربية رسالة، ومن حُسِبُوا عليه أمانة.

فكيف يستهين برسالة؟

وأنَّى لا يوفي بأمانة؟

لقد حُمِّلَ آمالاً طيبة، وهو أهل لها.

واستودع تطلعاتٍ سامية، وهو - بعونِ الله - قادرٌ على الوفاء لها.

لقد امتزج بطلابه دون تفريط، وأنسوا به دون تجاوز، وكاشفوه مع توقيره وتقديره، وعايشهم مربيّاً موجها، مختاراً لهم، مرشِّداً خطواتهم غير مرتبط بدوام، فوقته كله حقهم، وفكره لا يخلو منهم، وعاطفته تحوطهم.

أضرب للقارئ الكريم مثلاً، وله أن يحكم بعد على شخصية الداعية المربي (خادم العلم) .

أتم تلاميذ المدرسة النظامية الصف الخامس الابتدائي، ولقلة العدد لم توافق إدارة التعليم على افتتاح الصف السادس بالمدرسة.

لقد أدى الشيخ عبد الله ما عليه، وبقي لأولياء الأمور دورهم، ولكن متى تخلى الشيخ عن ولاية أمورهم، وإن كان لهم آباء يعتزون بهم، ويحرصون على إتمام دراستهم؟

لقد أعفى الشيخ الآباء، ونهض بالعبء وحده دون استهانة بدور أولياء الأمور، أو مساس بواجبهم .

لقد اختار لهم مدرسة (الهفوف) لمواصلة الدراسة، وإن كانت (الدمام) أقرب، غير أن ثقة أولياء الأمور، وإيمانهم بحكمة الشيخ، وبعد نظره، جعلهم يقدمون رغبته، وينزلون على رأيه.

فلينطلق كل ولي أمرٍ بولده...

ما كان الشيخ ليطلب هذا ، أو يطمع فيه، وهو ولي أمر هؤلاء الطلاب جميعاً، وحركة واحد خبير أيسر وأخف من سفر جماعة، كل بولده.

لقد أخذ أولاده، وسافر بهم، وألحقهم بمدرسة (الهفوف) ، وعاد، ومعه بشارات التوفيق في سعيه.

لم يقل للآباء انتهى دوري، وبقي دوركم.

لماذا؟

ليقينه الثابت أن دور العلم الأب لا نهاية له، ويوم تتعارض الأبوة والتربية ؛ فذلك إيذان بألا تربية.

دعوة لابدَّ لها من إجابة

العارف بالشيخ، المدرك لدوره في (دارين) يستبعد بقوةٍ وإصرار انتزاع الشيخ من هذا الجسد، وهو خلية من خلاياه....

لقد شاء الله تعالى أن تبدأ النهضة التعليمية بقطر، وقام عليها حاكم طموح، شغوفٍ بالعلم والعلماء، مؤمن بدور العلم في بناء الشعوب، وأثره في صنع حضارة الأمم، وقد كرَّهَ اللهُ إليه الأمية، وجعله حربا على الجهل والتخلف، كان ذلكم الحاكم هو الشيخ على ابن عبد الله آل ثاني، غفر الله تعالى له.

والنهصة التعليمية في حاجة إلى ركائز قوية، جمعت بين الخبرة، والرغبة الصادقة في العطاء، والحب الخالص للوطن العزيز (قطر).

فهل ينسى ذلكم الحاكم ذلكم الرجل الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري الذي حقق خلال سنوات معدودات ما حقق في درة الخليج (دارين)؟

إن قطر الأم الحبيبة لتنظر إليه نظرة إعجاب وإكبار، وهو نبتها

والمعبر عنها، وتأمل أن ترى وفاءه، كفاحاً على أرضها، ومساهمة في بناء أجيالها.

ولكن أنى يكون ذلك، وقد أصبح دور الشيخ بارزا، وذاع صيته في المملكة العربية السعودية عامة، وفي المنطقة الشرقية خاصة؟

إنه يطلب رجلاً يأنس إليه جليسه، ويشغل به سامعه، ويألفه معاشره، مما هيأ له أن يمتزج بدماء السعوديين حبًّا، ووداداً، وألفة ووفاءً؛ حتى أصبح موضع ثقة حكامها، موضع إعجاب القائمين على أمر التربية.

لقد أرسل حاكم قطر الشيخ على بن عبد الله آل ثاني إلى أخيه الملك سعود بن عبد العزيز آل سعُود ملك المملكة العربية السعودية، يطلب من جلالته السماح للشيخ عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري بالعودة إلى قطر ، رحمهم الله جميعا.

فماذا يتوقع من الملك سعود؟

أيضنٌّ بهذا النموذج المعطاء، وقد شهدت التربية السعودية آثاره؟

أيستأذن أخاه (حاكم قطر) في بقائه؟

ما هذا بخلق الأكارم، وآل سعود طليعة فيهم....

لقد أصدر مرسومه الملكي إلى الأمير سعود بن جلوى ، أمير المنطقة الشرقية متضمنا الإذن للشيخ عبد الله الأنصاري بالعودة إلى قطر، فكانت عودته المباركة عام ١٣٧٢هـ

فما كان عليه إلا أن يلبي نداء الوطن.

وعطاء العظماء يحدثُ عنهم، أينما كانوا، فأي عطاءات تلك التي وفَّى بها الابن البار للوطن العزيز قطر؟

أول معهد ديني في قطر

استقبلت (قطر) بكل مشاعرها، وأحاسيسها ابنها العائد إليها، وهي تعلق آمالا، وترجو على يديه خيرا، وهو صاحب رسالة قوامها العقيدة السليمة، والتربية السوية القويمة، وقد أفلح وأبدع في بلد كريم شقيق، فماذا يكون حظ (قطر) المنبت والمنشأ منه؟

لقد هداه الله تعالى إلى إقامة أول معهد ديني في وطنه الحبيب يكون فاتحة خير للدين والدنيا، يبني أجيالاً، دينهم عصمة لهم في تفاعلهم مع الحياة والأحياء، الحق رائدهم، و شرع الله عصمتهم.

أعد الشيخ خطته، وأوضح تصوره، فأعجب الشيخ على بن عبد الله آل ثاني بعرضه، وأقره، وباركه، وفوضه في اختيار أجنحة قوية يعلو بها البناء، فوقع بتوفيق من الله تعالى على صفوة، ممن لهم باع في التربية، وخبرة في مجال التعليم، وشهدت (قطر) بعودة ابنها البار عبد الله بن إبراهيم الأنصاري قيام أول صرح تعليمي ديني علمي عام ١٣٧٤هـ وضع مناهجه، وحدد مساره، ورسم سياسته التعليمية مستعينا بمن يثق فيهم من أولي الخبرة التربوية، فكان الاختيار موفقا سديداً، فقام المعهد عملاقاً، وأبى – وهو المكلف

بإدارته – إلا أن يقوم بتدريس التفسير والحديث، وصلته بالعاملين أخوية رشيدة، يؤمن بأهمية النشاط، ودوره في الكشف عن قدرات ومواهب الدارسين، مباركاً التربية الرياضية كمنهج تربوي، يخرج المؤمن القوي ديناً ودنيا.

ألح إلى طلابه برغبته في إقامة ملعب للمعهد – بالجهود الذاتية – في أرض فضاء مجاورة للمعهد، فعملوا وهو فيهم، فلم يمض غير أيام قلائل حتى كان للمعهد ملعب يفوق نظيره في أكبر المنشآت التعليمية في دولة قطر، وحقق طلابه فوزاً أثار إعجاب المسؤولين والمشاهدين، في مهرجان، أشرقت صفحاته في تاريخ قطر.

إن المعهد منذ شهرين كان بلا ملاعب، ولا فرق، فكيف صنع شبابه؟

إنها همة الداعية المربي، والمعلم الخبير العائد من (دارين).

وجمع المعهد بين أروقته طلاباً من صفوة أعلام قطر، وأعلام دوله الإمارات العربية، واليمن، ودول إسلامية أخرى.

مدرسة صلاح الدين وإدارته لها

وأنشئت أول وأكبر مدرسة ابتدائية ألا وهي (المدرسة الابتدائية الجديدة) وقد أطلق اسم البطل المنقذ، فعرفَتْ بـ(مدرسة صلاح الدين)، وتم اختياره مديراً لها ؛ فإذا هو نشاط يفيض على كلِّ من فيها، وما فيها، وإذا القائد التربوي حب كبير يغمر من حوله جميعا.

طلابها – وهم أساس العلمية التعليمية – أحبوه، فأحبوا العلم، وأقبلوا على الدراسة ، وآباؤهم شغفوا به، ووثقوا بخبرته وحكمته، فعشقوا التربية بعشقهم له، وأطمأنُّوا على أولادهم في صحبته، والمعلمون والعاملون بالمدرسة ألفوه، فأخلصوا العمل، وتفانَوْا في الأداء، صدقاً مع الله، ثم وفاءً للعلم، وتقديراً للشيخ، وقد أنزله خلقه من معاشريه منزلاً كريما، وجعلت له سماته المتميزة مستقرّاً في قلوبهم، فكان – رحمه الله تعالى – مثلاً للقيادة الذكية، الواعية، الرشيدة، الحكمية، في كل موقع من مواقع المسؤولية.

والتربية بطبيعتها تختلف عن أي عمل والقيادة فيها تستلزم من القدرات ما قد تستغني عنه القيادة في كثير من مجالات العمل الأخرى،

وقد شاء الله تعالى أن يهب الشيخ من المزايا ما يؤهله للنجاح، فقد كان – رحمه الله تعالى – وثيق الصلة بطلابه، قريباً منهم، دائم الحديث إليهم ناصحاً ومرشداً، موجهاً ومسددا، وحظى أولياء الأمور عنده بما استعصى أن يجدوه عند غيره، والعاملون بالمدرسة جسد طيب رأسُهُ مدير صالح سلم بصلاحه الجسد كله ، واستقطبت المدرسة أبناء الوجهاء ثقة في إدارتها، وإيماناً بعظمة المسيرة التربوية التي يقودها، ويرعاها الشيخ.

إدارة الشؤون الدينية والقروية

وأعباء الشيخ تكثر، ومسؤوليته تتضاعف، مع إدارته (لمدرسة صلاح الدين) تضاف إليه مهام أخرى أثقل وأكبر ، وأشق وأعظم؛ لقد أنشئت (إدارة الشؤون الدينية والقروية) التابعة لوزارة المعارف عام ١٩٧٧م، وعُهِدَ إلى الشيخ بإدارتها، إلى جانب إدارته لمدرسة صلاح الدين، وهي مهمة صعبة تنوء بحملها العصبة أولو القوة، والقدرات المتنوعة؛ حيث يتولى الإشراف على تنظيم العلوم الشرعية مناهج وكتبا وأداء ، وكل ما يتعلق بهذه العلوم، ثم القرى، بكل ما تحتاج إليه قرى قطر عامة، وقرى الشمال خاصة، لتباعدها، وعدم كفاية كل قرية لإقامة مدرسة ، مما يحتاج إلى اختيار قرية و تحديد موقع مناسب لإقامة المدرسة بها، وتيسير المواصلات لإحضار الطلاب إلى المدرسة ، ثم إعادتهم إلى قراهم، وتدبير هيئات التدريس، والعاملين وغير ذلك مما يقتضيه أداء كل مدرسة لمهمتها، كما يدخل في اختصاصه كل الخدمات العامة للقرى، كالمياه ، والمواصلات، والإسكان، وحاجات القرى لا تنتهي، ووفودها لا تنقطع، وإصرار الوافدين لا يطاق، ولا يسهل احتماله إلا على حليم صبور، فمن يكون غير (خادم العلم).

وقد أولته الدولة ثقتها الغالية، فأصبح مرجعا في أمور عامة للمواطنين وغيرهم، فمن يرغب في التقدم للامتحان في مرحلة من مراحل التعليم، أو يريد الالتحاق بالمدرسة، وليس لديه جواز تكفيه شهادة الشيخ، حين يعطيه ما يفيد أهليته لذلك.

وكذلك الأمر لمن يريد الحصول على جواز قطري من المواطنين لابُدَّ له من الحصول على ما يزكيه من الشيخ.

وتولى – رحمه الله تعالى – عقود النكاح، وخص هو بعقود الأسرة الحاكمة، وانتدب للقضاء، وكانت له وقفاته وأحكامه ذات الطابع المتميز.

لقد أصبح الشيخ موسوعة بشرية كاملة اتسعت لأنسابهم وأعمارهم، وشخصياتهم، وأحوالهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يؤكد المكانة التي حظي بها الشيخ عند المسؤولين، ودوره في حل مشكلات المواطنين والمقيمين، فكان مكتبه – رحمه الله تعالى – لا يخلو من مراجعين، ولا يسلم هو من ملاحاة ذوي الحاجات، ووجهه الصبوح لا تفارقه الابتسامة.

وحين نتحدث عن إدارة الشؤون الدينية والقروية لا يغيب عنا دوره البارع، وجهده الموفق في الإشراف على بناء مدينة الشمال، وتجميع القرى التي حولها، مما كان سببا له أهميته في أن ينال الشمال حظه من النهضة القطرية، ويحظى أهله بالرعاية الموفقة.

الشيخ والكتاب العزيز

ما ظنك –أيها القارئ الكريم– بمشغول بالقرآن الكريم، مأخوذ به، عامل في خدمته؟

لقد كانت كبرى أمانيه أن يسمع القرآن الكريم غضا طريا، كما نزل من كل فتى أو فتاة، أب أو أم، على أرض قطر، وأن يرى المصحف الشريف في يد كل مسلم أو مسلمة صغيرا أو كبيرا في أرض الله كلها.

لما ذا لا يأخذ بيد ناشئة المسلمين من قطر والمقيمين على صراط الله العزيز الحميد، ويزكي باطنهم بالقرآن الكريم؟

لم لا تنطلق أصوات صافية صفاء الفطرة تردد آي الله تعالى في كل بيت، وتعطر به كل طريق، ويكون زينة كل اجتماع؟

والمسؤولون أكبر عون، فالمساجد مفتحة طول العام والمدارس طوع إرادته، وخاصة في إجازة الصيف، وأهل القرآن الكريم ومعلموه فيهم وفرة، وخير وبركة، وأولو الأمر أحرص ما يكونون على أن تتصل بالقرآن أسبابهم، وتضاف جهودهم في خدمته إلى صحائف حسناتهم.

لقد افتتح الشيخ مراكز التحفيظ في الدوحة، وجميع مدن وقرى الدولة الحبيبة قطر، وخادم العلم حركة دائبة، ونشاط دافق يتابع، ويوجه، ويشجع، ويكافئ، ورواتب المحفظين مجزية، ومكافآت الذين يحفظون تضاعف بمقدار ما يحفظ ، وقد تصل إلى ألفي ريال، أو تقاربها، ورأت (قطر الخير والعطاء) كيف تقام المسابقات القرآنية، ويندب لإجرائها قرآنيون على مستوى العالم الإسلامي، ويكرم الفائزون تكريما لا يناظره تكريم.

وباعث هذا النشاط ومعليه (خادم العلم) وتميزت قطر مع هذه النهضة القرآنية بوجود أسر قرآنية الأب والأولاد حافظون، والأم والبنات حافظات، ثمار طيبة، أنضجتها جهود الشيخ من خلال مراكز التحفيظ فضلا من الله تعالى ورحمة.

وليملأ العالم الإسلامي بطبعات المصحف طبع أكثر من خمس وثلاثين طبعة، للقرآن الكريم في أحجام مختلفة وغلاف قرآني بهيج متنوع.

وإحياء المدرسة الباكستانية، وإخراجها من مقر أقيم بالخشب والصفيح، بلا كهرباء، ولا ماء، وبالتالي بلا مكيفات،

أو أي خدمات، فأحلهم مبنى حديثا فيه أرقى الخدمات، وأغدق العطاء للمحفظين، وللدارسين، فأثمرت رجالا عمروا المساجد وحلقات التحفيظ، فجعلهم الله خير شاهد لخادم العلم.
الندوة القرآنية .

يقول الشيخ عبد المعز عبد الستار غفر الله له:

«أذكر أن ندوة القرآن الكريم التي عرفت به- أي الشيخ عبد الله الأنصاري – في قطر ، وعرف هو بها كانت مقرأة في داره بمجلسه المجاور لمسجد الشيخ غانم ، وكان يحتفل بختم القرآن كلما أتمه، ويدعونا إلى هذا الحفل ، فسرَّنا ذلك منه، وأعجبنا .

فقلنا له: وماذا لو جعلتها في المسجد ، وهو منك قريب، وهو أكثر جمعا، وفيه من يحتاج إلى تقويم لسانه من الخاصة والعامة؟

فما أسرع ما استجاب للفكرة ، ووجه للمسلمين الدعوة ، وطبع المنشورات، ووزعها على المدارس، وكثير من الجهات، وجعل لها منهاجا وبرنامجا يضم بجانب التلاوة التعريف بأحكام التلاوة نظريا، مع تطبيقها عمليا، وكلمات وخواطر هي تفسير لبعض ما قرئ من آيات الله، وكان ذلك يدار على العلماء ، فتحولت الندوة والمقرأة إلى منتدى علمي قرآني ، وصارت مقصدا لأهل قطر جميعا ،

يؤمه الناس من عرب وعجم ، لتقويم ألسنتهم، وحفظ كلام ربهم، والسؤال عن أحكام دينهم.

وأذكر أنه بعد قليل من إقامة الندوة امتلأ بالناس المسجد؛ حتى اضطر إلى جعلهم مجموعات أربعا، ثم اضطر إلى استخدام مكبر الصوت، وقد بارك الله في هذه الجهود ، ونمو هذه الندوة المخلصة، فخرَّجت كثيرًا من الطلاب والموظفين، بل من العامة والعجم، وكوَّنت مجموعات في قطر تلتقي على الله وكتابه ، ومدارسته والعمل به، بل والاهتمام بأمر المسلمين؛ فقد صار تجمعا للصفوة من أبناء الأمة ، تستقبل كل وافد من أقطار الإسلام يعرض فيها قضايا أمته، فيسارع الشيخ وأبناؤه لنجدتهم، والانفعال بقضيتهم» أ.هـ

كفى بها شهادة لا تحتاج إلى إيضاح من عالم فاضل ، ومفكر من مفكري الإسلام ترينا كيف بدأ العمل، وإلام صار بالجهود المخلصة وهو واحد من أعمال الشيخ رحمه الله ورحم القائل

كم الذين انتفعوا بالندوة القرآنية؟

ما ذا كانت آثارها؟

ما آثارها التي امتدت، ولا زال نفعها قائما ينمو، ويقوى داخل قطر، وفي كثير من دول الإسلام؟

إحياء التراث الإسلامي

ما ذا يفعل محب العلم، العاشق له، الساعي في نشره إذا وجد التراث الإسلامي مهملا، بل ضعيفا، والعيون عنه مغلقة، والقلوب مشغولة معرضة؟

لقد نهض (خادم العلم) تسمو به همة عالية، وعزمة صادقة، فأحياء من التراث ما أحيا في إدارته لإرادة الشؤون الدينية، ثم رأى المسؤولون أن إحياء التراث أعظم من أن يكون تابعا، أو جزءا من نشاط بل لا بد من استقلاله، ومضاعفة الجهد في إحيائه ونشره، فصدر قرار مجلس الوزراء رقم (٥) لسنة ١٩٨٢م بإنشاء (إدارة إحياء التراث الإسلامي)

وَتَوَلِّي الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري إدارتها، ويكون مسؤولا مسؤولية مباشرة أمام الوزير فباشر الشيخ مهامه، واتسعت دائرة الطباعة داخل قطر وخارجها، وتوالى النشر على مستوى العالم دون مقابل مادي تتحمله الجهة المستفيدة، فالدولة التي رضيت الكتاب الإسلامي سفيرا لها في الدول الإسلامية، وفي المراكز الإسلامية والجمعيات الخيرية الإسلامية، على مستوى العالم تتحمل كل النفقات طباعة وإرسالا جويا وبريا وبحريا.

لقد أحيا الله تعالى بعبده الفقير إليه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري مئات الآلاف، بل ملايين النسخ من كتب التراث الإسلامي التي تجاوز بعضها خمسة عشر مجلدا، وأنفقت كلها في سبيل الله، وقامت عليها مكتبات عامة، وخاصة، هذا عدا نسخ القرآن الكريم التي سعد بها المسلمون في كل بقاع الأرض.

جهود تربوية

ولم يغب (خادم العلم) عن قضية من قضايا وطنه، بل كان له رأيه وجهده دوره، فقد حارب – رحمه الله تعالى – الأمية، ودعا إلى محوها،وحاربها ، ورغب من فاتهم الدور في التعليم في الالتحاق بصفوف محو الأمية، وكان حافزاً لبعضهم على مواصلة التعليم، ولو بالالتحاق بصفوف الدراسة المسائية، فوجد استجابة، وتحول منهم من استجاب إلى العلم بعد الأمية.

وكان ضمن اللجنة المنسقة لجهود محو الأمية.

وكان – رحمه الله تعالى – من طلائع الدعوة إلى تعليم البنات، وصرَّحَتْ بذلك في أكثر من لقاء رائدة تعليم البنات الأستاذة آمنة محمود الجيدة – غفر الله تعالى لها – وشهدت بحفزه الدائم لها إلى تشجيع البنات، وترغيب أسرهم في تعليمهن ، واتخذ من نفسه نموذجاً، فَعَلَّمَ بناته، وصار لكل منهن دورها في خدمة التربية.

وكان له نشاطه الاجتماعي العام والخاص ، ووثق صلاته بكل فئات المجتمع القطري خاصته وعامته، وعلمائه ووجهائه، وسعى في حاجات المواطنين والمقيمين.

كان يستقبل ذوي الحاجات استقبال غنم وربح، فقد نذر نفسه لتفريج الكربات، والتيسير على المسلمين، وكثيراً ما كان يذكر من حوله بقوله:

من للضعفاء إذا تخلينا عنهم؟

لقد عُرِف – غفر الله تعالى له – بأنه دائم الابتسامة، كثير الترحاب ، هاشٌّ باشٌّ ، لا يعرف الاعتذار، ولا يقبل التراخي في حاجات الناس.

فكأنه حقَّ فيه قول الشاعر:

تـــراهُ إذا مـــا جـئـتَـهُ مُـتَـهَـــلِّلاً

كأنـك تُـعْـطِـيـهِ الـذي أنْـتَ سائِـلُهْ

إن حسن الاستقبال يملأ النفس بالتفاؤل ، وقد كان هذا حاله مع الناس عامة ، وذوي الحاجات، والضعفاء خاصة.

المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية

لقد صار الشيخ عنوان قطر، وصورة مشرفة تعبر عنها ، وتحدث باسمها في المؤتمرات العالمية الإسلامية والفلكية، ولقد كان (المؤتمر الثالث للسيرة والسنة النبوية) المنعقد بالدوحة برئاسته رحمه الله تعالى وغفر له

من يوم السبت ٥ من المحرم ١٤٠٠هـ الموافق ٢٤ من نوفمبر ١٩٧٩ م

إلى يوم الخميس ١٠ من المحرم ١٤٠٠هـ الموافق ٢٩ من نوفمبر ١٩٧٩م

لقد صار غرة في تاريخ الوطن الحبيب قطر في وفائه للإسلام، وغيرته عليه، واعتصامه بكتابه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ودعوة المسلمين إلى الالتفاف حول رايته، وافتدائه بالنفس والنفيس.

وكان (خادم العلم) الداعي إليه باسم الوطن الحبيب، والمخطط له، والمنظم لمسيرته، وحكام قطر خيار من خيار، لقد أتيح للمؤتمر من الإمكانات ما لم يتح له في أي لقاء، واحتفي به، وبالمشاركين فيه، ولنترك المجال العظيم ومجاهد إسلامي على مستوى العالم، ليصور

لنا المؤتمر بقلمه، وينير حروف كلماته بعاطفته إحقاقا لحق، وإقراراً يسبق.

يقول المفكر الإسلامي الكبير، والداعية المجاهد الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى:

إن حكومة قطر وإن كانت استضافت المؤتمر، ودعت إليه ، ولكن الشيخ الأنصاري هو – في الحقيقة – كان راعي المؤتمر، وصاحبه، والمعني بأموره وشئونه، فكانت عنايته الخاصة بالمؤتمر، وتفاعله مع موضوعه تفاعلاً إيمانياً وروحياً، وتشبعه بحب الذات النبوية الشريفة، على صاحبها الصلاة والسلام – كل ذلك أضفى على المؤتمر جوّاً روحانياً مباركاً وقداسة وقبولاً ورونقاً وبهاء لا يوصف، وهنا يحلو لي أن أنقل مقتبساً من كتابي (مسيرة الحياة) هذه القراءة، حيث أضع صورة عامة للمؤتمر: (شاركت في الكثير من المؤتمرات والندوات ، ولكن لم أرَ مثل ما رأيته في مؤتمر قطر من مظاهر الجود والسعة في الإنفاق والبذل لتوفير أقصى الراحة للضيوف، والرعاية والعناية والخدمات الممتازة الفائقة والفاعلية في اي مؤتمر قط، ولم أشعر بسكينة وروحانية وبركة شعوري بها

في مؤتمر قطر، كأن مخيماً نورانياً يظل محيط المؤتمر كله والبلد بأجمعه، وكانت المشاركة – أيضاً – في المؤتمر متميزة سواء من حيث الكيفية أو الكمية، فقد حضره كبار العلماء وقادة الجماعات والمنظمات الإسلامية وأساتذة الجامعات من أمريكا إلى أندونيسيا ومن مراكش إلى الرباط.

أرأيت أن الرجل – رحمه الله – يذكر فيشكر ، وتعد مواقفه ، فيفتقده عارفوه؟

وها هو (خادم العلم) في موقف واحد من مواقفه فيه نضرة الإسلام، ونوره، وحب النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم والاحتفاء بسيرته العطرة، وسنته الشريفة في أحضان قطر، وقمته الشاهقة علم من أعلامها ، وكريم من أبنائها، وداعية غيور من دعاتها.

إنه (خادم العلم) عامة والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة خاصة

لقد كان – رحمه الله تعالى – قوي الذاكرة، يعي أكثر مما يكتب، ويحمل في صدره من آلام الأمة أضعاف ما تحدث به المراجع، وكان وقَّافاً عند المهام، شغوفاً بعظائم الأمور خرج من المؤتمر بحصاد طيب، وأوقف العالم الإسلامي على كثير من أهم قضاياه.

الفلك ووحدة الأمة

وهو – رحمه الله تعالى – الفلكي البارع الذي ملأ الآفاق اسمه ، وحدث عنه نبوغه الفلكي، فأولاه الخليجيون حبهم، وخصوه بثقتهم ، واطمأنوا لحساباته، فمع بالغ جهده في إعلاء التقويم القطري أصدر تقاويم كثير من دُول الخليج، ونضَّر صحائفه بتقويم الحرمين الشريفين.

وبين جنبيه نفس مطمئنة، وروح طيبة ترى الأمة الخاتمة جسداً، لا انفصام بين أعضائه، وبناء لا تفاوت في لبناته، هكذا أبدعها الله تعالى، وهو يحب أن يراها كما صاغها خالقها جل وعلا.

حضر مؤتمرات، وكان بارعاً في عرض رؤيته، وإبانة توجهاته ألا وهي الحفاظ على الجسد الواحد، والبناء المتماسك، للأمة الواحدة الخاتمة، آمال تموج بها نفسه، وبشرق بها فؤاده، حتى دعي إلى عقد (مؤتمر توحيد أوائل الشهور القمرية) المنعقد بالكويت في الفترة من ٢٣ من المحرم ١٣٩٣هـ الموافق ٢٦ من فبراير ١٩٧٣م

إلى ٢٨ من المحرم ١٣٩٣هـ الموافق ٣ من مارس ١٩٧٣م

وقد انعقد المؤتمر برئاسته ،فرأى متنفساً لآماله ، ومناخاً طيباً لتوجهاته، فلماذا لا يثري العالم الإسلامي بها؟

لماذا لا يوجه الأنظار النظيفة والبصائر المستنيرة إليها؟

وفي المؤتمر وجوه علتها نضرة الإيمان، وكساها بشراً حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فكاشفهم يمكنون طموحه، فكان من توصيات المؤتمر:

وجوب عمل تقويمي قمري، بمعرفة لجنة معتمدة من فقهاء الشريعة الإسلامية ، وعلماء الفلك تلتزم بها الحكومات الإسلامية في صومها وفطرها، وفي تحديد مواسمها الدينية، وفي تاريخها.

لقد كان – رحمه الله تعالى – دعوة – لا داعية – إلى توحيد المسلمين، وإنهاء التفرق والتنازع في أمورهم عامة، وفي مواقيت شهورهم، وممارسة شعائرهم، ومناسباتهم الدينية خاصة.

ولو تيسر الأخذ بذلك التوجه المعلن في المحرم من عام ١٣٩٣هـ، والذي أوصى به (مؤتمر توحيد أوائل الشهور القمرية) لكان هذا انطلاقا على طريق وحدة خير أمة، الأمة الوسط، الأمة الخاتمة.

فهل من مجيب؟

كيف خطط لسيد الشهور ؟

ما ذا أقول في أستاذي ومعلمي (خادم العلم) الذي لفت أنظار المسلمين إلى أن مواسم الطاعات في الإسلام أزمنة حميدة اختارها الله لهم، وحبب إحياءها، ورغبهم في التنافس فيها، ورمضان تاج تلك المواسم، وسيد الشهور

إني لأرجو الذين عايشوا رمضان المعظم معه أن يعودوا بذاكرتهم إلى إحياء (خادم العلم) رمضان، ومن لم يعايشوه أن يتصوروا من واقع ما بلغهم من علم، وما أحيطوا به من معرفة...

وفود العلماء من جميع أقطار الأرض، مفكروا الإسلام مع اختلاف انتماءاتهم الوطنية، مشاهير القراء، وصفوة الخادمين للكتاب العزيز يفيدون إلى (قطر) الوطن المعتصم بالإسلام، الوفي لأمته الغيور على شريعته، ليحيوا أعز وأكرم وأعظم المناسبات الدينية في هذا البلد، أو ينطلقوا منه لإحيائه في أرض الله من (قطر) وفي رعايتها.

مساجد قطر يعلوها نور على نور، نور مقيمي الصلاة، ونور العلم والعلماء في لقاءات أشرقت بها ليالي رمضان نورا، وفاضت حكمة،

ووراء هذا كله —دعوة، وإعدادا، وتنسيقا، واستقبالا، ورعاية، ونفعا، ثم وداعا – (خادم العلم)

ووراء ذلك أعمال ترعى بفضل الله تعالى الكسير وتواسي المحزون، وتنهض بالضعيف، وترينا المسلمين أمة واحدة.

ما رأيته ينام في رمضان إلا قليلا، ولا يتوقف عن الحركة إلا مضطرا، يرى حصاد هذا الشهر كريما،

فلما ذا لا ننال من جناه؟

ثمره طيب، فلماذا لا نَسْعَدُ ونُسْعِدُ بمذاقه؟

عطاءات حبيها الله
إلى (خادم العلم)

(خادم العلم) نشاط لا تحده حدود، ولا تعوقه قيود عضو مؤسس في (رابطة العالم الإسلامي) عامل على إنزالها المنزلة اللائقة بها، وهو العضو المؤسس لمنظمة (الدعوة الإسلامية) وهو النصير والمؤازر لكل عمل يخدم المسلمين في (قطر) أو في أي موقع في أرض الله كلها.

ودار الأيتام الأنصارية بالهند التي أقامها (خادم العلم) بالهند، وافتتح العمل بها في العام الدراسي ١٩٨٤م /١٩٨٥م خير شاهد وأصدق محدث.

وما كانت جهوده – رحمه الله- في السلم - بل تجلى عطاؤه في أوقات الشدة، وبرز دوره في مواجهة النكبات الكبرى التي يوقعها الحقد بالمسلمين كدول أو أقليات.

فعلى سبيل المثال (قضية فلسطين) لم يعشها الشيخ خطبا ومنشورات، بل عاشها معاناة وألما، وجهادا ومبادرة، فهو يرى كل

تراب إسلامي له عليه حق الوفاء، فما ذا يكون حاله إذا حوى هذا التراب (أولى القبلتين) و (ثالث الحرمين الشريفين)؟

إنـه تـراب وجـب على كل مسلم افـتـداؤه، وحـق عليه الجهاد لتحريره.

لقد عاش -رحمه الله تعالى- وأعاشنا، والمجتمع القطري الصدوق مأساة الشعب الكويتي الشقيق، إنه غزو لكل مسلم في وطنه...

معذرة – كان رحمه الله تعالى- يرى غير ذلك....

إنه غزو لكل مسلم في نفسه، في بيته، في أهله، في بلده ، فإذا تجاوزنا الوطن العربي، فمن يعلم أنه زار المجاهدين الأفغان وهم يحاربون الاتحاد السوفيتي....؟

زارهم في معسكرهم، ومعه مبلغ كبير من المال.

أي قلب هذا؟

أي جرأة تلك؟

إنه أحس عظمة الإسلام، وحقوق المسلمين عليه نأوا أم اقتربوا، وواجبه نحوهم، مهما كلفه ذلك.

وحين دب الخلاف بين الزعماء الأفغان، وخيف تشقق حصن الجهاد ضد السوفيت.

أين التقى هؤلاء الزعماء؟

وعلى يد من تمت معالجة الموقف ورأب الصدع؟

في (قطر) العظيمة الكريمة العزيزة المقدسة للحرية والأحرار.

في مجلس ابن (قطر) البار، ابن الإسلام الغيور الصدوق الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وفي رحابه تم الوفاق.

بتوفيق الله تعالى جمع كلمة المجاهدين الأفغان الذين صنعوا أعظم نصر.

يقول متحدث: لا أدري بم ألقبه؟

أهو (خادم العلم)؟

أم (خادم القرآن)؟

أم (خادم الإسلام)؟

أم (خادم التربية)؟

أم (خادم المسلمين) ؟

أم (خادم الإنسانية)؟

أم هو هذا وأكثر منه؟

والوطن العزيز (قطر) قد اختار خادم العلم لعظائم ومهام فكان أوفى مما يتوقع، وأكبر مما يُظَن.

صور من دارين

فضيلة
الشيخ عبدالله الأنصاري

الوالد
عبدالله بن محمد أبوعايشة

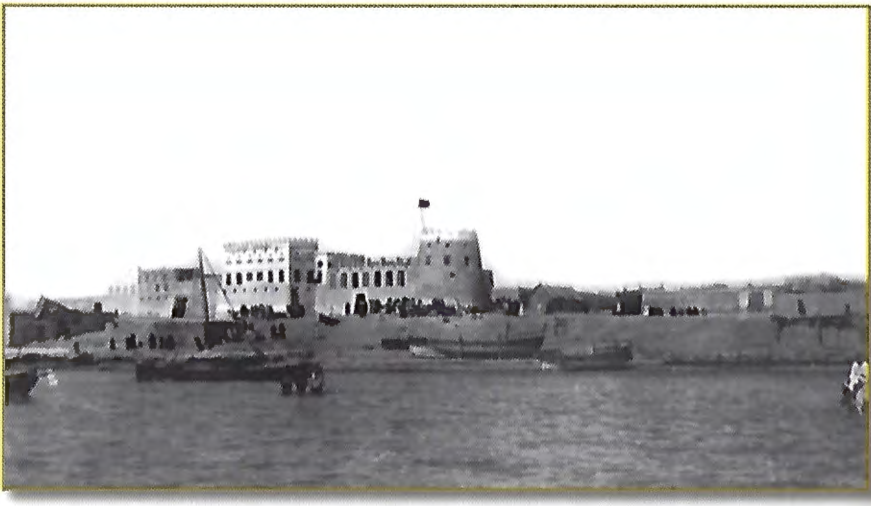

قلعة دارين صورت في عام ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٥م - المصور بيرسي كوكس - الجمعية الجغرافية الملكية - لندن

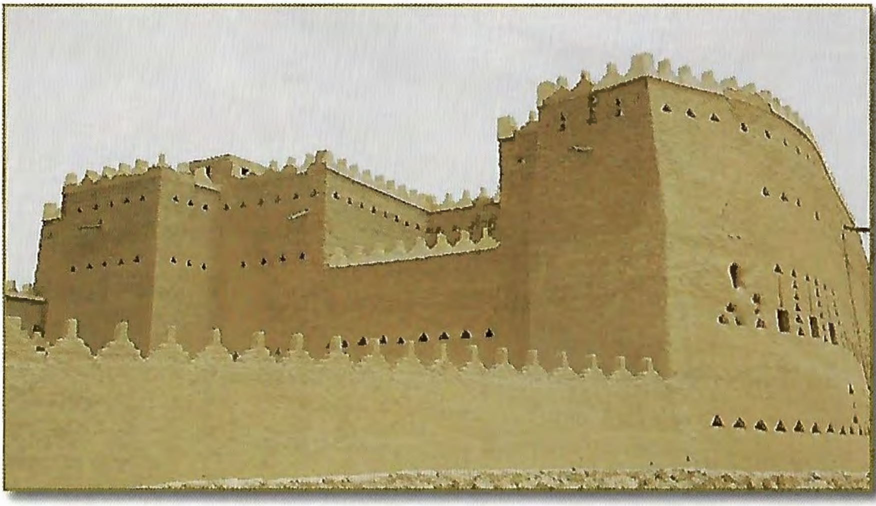

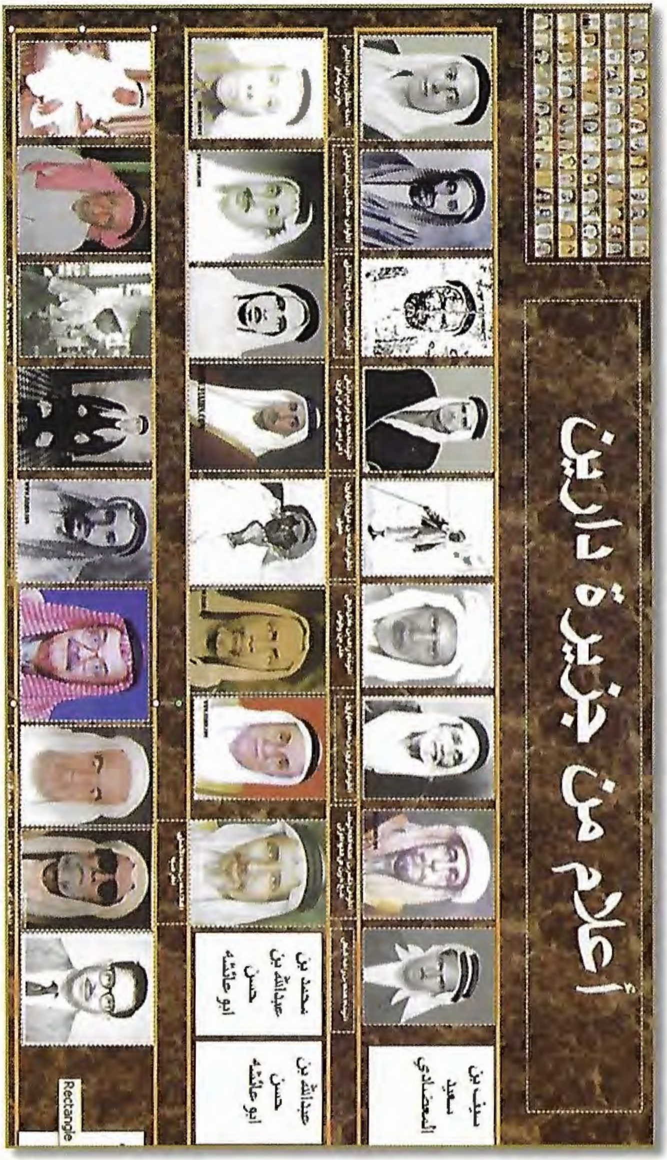
أعلام من جزيرة دارين
سيف بن سعيد المعضادي
عبدالله بن حسن ابو عائشة
محمد بن عبدالله بن حسن ابو عائشة
Rectangle

زيارة أهل دارين لمجمع الشيخ عبدالله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه بدولة قطر
بتاريخ ٢ من شهر رجب ١٤٣٤هـ الموافق ١٢ مايو ٢٠١٣م

الخاتمة

لم يكن ما مر بنا غير وقفات سريعة مع نموذج بشري فريد، ذاع صيته، وتردد اسمه، وانتشر عطاؤه في قطر، ثم في العالمين العربي والإسلامي في السلم و في الحرب، ومن عظيم إرادة الله سبحانه وتعالى أن جعل منطلقه، ومفتتح نشاطه (دارين) بالمملكة العربية السعودية، ففيها اشتهرت كوامن سماته، وتجلى مخبوء تطلعاته، في هذا البلد، الطيب، الكريم أهله، الطموح عماره، وإذا كانت الأسباب تذكر فستوجب شكر الله الذي فعَّلَهَا، وهيَّأ لها وقوع مسبباتها، فإن الأسباب البشرية أسماها وأسناها، ولقد كان مدخل الشيخ عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري (دارين) على يد وجيه ذي فضل، كريم ذي طموح، صدوق ذي وفاء، هو الوجيه الوقور الوالد عبد الله بن محمد أبو عايشة الذي اصطحبه، ورعاه، وأكرم وفادته، وزكاه، واتسع للشيخ قلبه قبل داره، ورحب به، واعتبره أهل ذلكم البيت واحدا منهم.

لقد بدأ رسالته الدعوية التربوية في (دارين) فالمسجد ساحة عطاء متنوع، ولقاءات الناس -وما أكثرها!- مجالات تنوير وإصلاح، وتربية وبناء.

بدأ التربية قبل أن تقوم ب (دارين) مدرسة؛ وتعددت أمامه — بتوفيق الله تعالى- مجالات الدعوة، فعمرت بها المجالس، وازدانت بها اللقاءات.

سيدي الوالد —كما عهده كل قوم ينزل فيهم، أو رفاق يصحبهم في سفر أو إقامةٍ – نشيط لا يهدأ، دؤوب لا يمل.

هو للصغار مؤدب معلم، وللكبار مستشار ونصوح.

لقد تحول المسجد إلى مدرسة، بل مدارس، وقامت المدرسة النظامية الأولى يشد أزره في إقامتها أهل كرام أحبة للعلم، وانبرى الوجيه الطموح الوالد (عبد الله بن محمد أبو عايشة) فتبرع بدار ذات سعة، كاملة المنافع، فرفعت عليها لافتة المدرسة، وقد استنارت بالعلم والتربية، واستقبلت رجالا في سن مبكرة، ليكونوا أنضر غراس لأرضٍ طيبة طهور طموح، وليشاركوا في نهضة الوطن الحبيب (المملكة العربية السعودية).

وتجاوز الحديث عنه —رحمه الله تعالى- دارين، فاستدعاه قاضي القطيف ليكون مساعدا له فلم يمكث غير أشهر، وعاد إلى مهوى فؤاده ومسرح نشاطه، وموطن أهله وأحبته (دارين) عاد إلى التربية، وهي رسالته، وأحبُّ الأعمال إليه.

أما أنا فقد رجعت بخير كثير وكسب وفير، وعطاء كبير، لقد وجدت –وأنا لا أزال طفلا– وجدت في هذا البلد (دارين) الطيب، الكريم أهلها، المؤنسة عشرتهم، الصادقة مودتهم أما لي، بل خير أم، وأكرم حاضنة، وأعظم راعية في (دارين)، ذات المكانة السامية في نفسي.

ولكن من تلك العظيمة التي أنستني فقد الأم، وأزاحت عني كآبة اليتم؟

من هذه الكريمة التي غمرتني بإحسانها، وأسبغت علي أفضالها، فرأيتها أما دونها كل أم؟

إنها الوالدة (أم عبد المحسن) زوج الوالد (عبد الله أبو عايشة) رحمهما الله تعالى، لقد اتسع بيت سيدي الوالد عبد الله بن محمد أبو عايشة فآواني، وأنزلني خير منزلٍ وأعلاني، وأدخلني في أولاده ووالاني، كانت الأم الغالية تطعمني بيدها، وتدفئني بحنانها، تقدمني على أولادها، وتعنى بي أشد من عنايتها بهم، وتحرص على أن أكون أحسن أترابي مظهرا، وأبهاهم منظرا، تهتم بيقظتي، وترعى منامي، وتَتَتَبَّعُ بحرص أخباري.

تشاركها العناية بي، ورعاية شؤوني أم رؤوم ثانية في نفس تلك الرحاب الطيبة، رحاب الوجيه الوالد (عبد الله أبو عايشة) من هذه أيضاً؟

إنها(أم عبد القادر) كبرى بنات الوالدة (أم عبد المحسن)،و كانت هذه الأم العظيمة الثانية لاتزال آنسة في بيت أبيها رحم الله الجميع.

فأي فضل- بعد فضل الله تعالى علينا- كفضل (دارين) عامة، وبيت الجواد السمح الكريم الوالد (عبد الله أبو عايشة) خاصةً ؟

وقد كان لي شرف دراسة الصف الأول الابتدائي في أول مدرسة نظامية في (دارين).

وشاء الله تعالى أن يظل شرف (دارين) فينا، ويمتزج دمها الطيب الطهور بدم الأنصار .

فأي رابطة كرابطتنا (بدارين) درة الخليج؟

وأي علاقة كعلاقتنا بأهلها الأماجد؟

بل أي أهل لنا كهؤلاء الأهل الأكارم الأماجد؟

فليس بمستغرب الوفاء ممن همُ الوفاء !

وليس بمثير للعجب أن تكون المسابقة القرآنية باسم من أحبَّ (دارين) وأهلها، وامتزج دمه بدمهم ، بل تآلفت روحه وأرواحهم بعد تعارف في الله ولله .

إنه قبل أن يكون وفاء (لخادم العلم) وفاء للقرآن الكريم الذي جمع بينه وبين أهل دارين .

وفاء للعلم ،

وفاء للتربية .

فجزاكم خيراً ، وجمعنا وإياكم على هداه

أخوكم

د/ محمد بن عبدالله الأنصاري

(أبو عمر)

قلعة دارين صورت في عام ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٥م - المصور بيرسي كوكس - الجمعية الجغرافية الملكية - لندن